

جامعة الجزائر 3

كلية علوم الإعلام والاتصال

قسم علوم الإعلام

محاضرات في مقياس مدخل إلى علم الآثار

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

علوم الإعلام والاتصال

السنة الجامعية 2021-2022

مقدمة:

المطبوعة موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك علوم الإعلام والاتصال وهي موافقة لما جاء في البرنامج الرسمي للوحدة التي تناولت مقياس مادة مدخل إلى علم الآثار.

فمن أهم ما يحمله التراث الإنساني والثقافي هو التراث الأثري، الذي يرمز إلى تاريخ البيئة التي كان يعيش فيها الإنسان، وهذا ما يتجسد فعلياً من خلال مختلف المواقع الحفرية، حيث تُعبّر البقايا الأثرية ومُخلفات الإنسان عن العصور المختلفة والقديمة التي تعايش معها هذا الإنسان، ومعرفة تاريخه، ونشأته وتطوره وبيئاته وتفاعلاته مع أخيه الإنسان ومع بيئته الطبيعية أيضاً، وهذا ما يُبرز أهمية دراسة علم الآثار والتنقيب الأثري لاكتشاف البقايا الأثرية لمختلف الحضارات الإنسانية المتعاقبة.

لا يعتبر علم الآثار وليد اليوم ولا وليد الصدفة، بل مثله مثل بقية العلوم الاجتماعية والإنسانية والتجريدية، التي تعرف التراكمية العلمية والبناء المعرفي، الذي يتطور عبر مراحل عدّة ومُختلفة، فقد تطوّر علم الآثار بتطور تقنيات الحياة البشريّة. حيث كان في بداياته يكتفي بالبحث عن الكنوز والتحف القديمة، إلى أن تغيّر هذا المفهوم التنقيبي وأصبح علماً منظمّاً من خلال أساليب علميّة ومناهج العمل العلمي الميداني والدراسة والحفظ والتوثيق، وتغيّرت أهدافه من المجال المادي والمالي إلى مجال البحث العلمي عن

الحضارات الإنسانية القديمة وتطورها واستنباط التاريخ منها وبناء تسلسل زمني وإعادة بناء وترميم معالمها، ويقال "هدف علم الآثار والحفائر الكشف عن تطور الحضارة الإنسانية وأن يبرز ويوضح خطى هذا التطور".

يعدّ علماء الآثار المعاصرون خبراء في دراسة الشعوب القديمة، على أساس البقايا المادية التي يعثر عليها حديثاً. حيث يقوم علماء الآثار بإعداد خرائط دقيقة متقنة وصور تفصيلية تؤثّق كافة جوانب حفائرهم. وعلى هذا جاءت هذه المطبوعة العلمية لتسليط الضوء على أحد العلوم التي تدرس تاريخ الإنسان القديم، "علم الآثار" إلا أنه ونظراً لعمق وتوسّع هذا العلم، جاءت دراستنا على نحو يُلخّص هذا العلم لتدريسه للطلبة الأكاديميين الجامعيين من خلال "مدخل إلى علم الآثار"، ممّا يتيح للطلاب فرصة البحث والتّقصي حول تاريخ الإنسانية من خلال دراسة آثاره القديمة. كما تهدف هذه المطبوعة إلى توجيه الطلبة إلى أحد العلوم المكوّنة لعلوم الإعلام والاتصال، لما لهما من علاقة وثيقة سيتمّ التّفصيل فيها من خلال حيثيات هذه الدراسة، حيث حاولت الباحثة تبسيط المحتوى ليتناسب وطلّاب السنة الأولى بقسم علوم الإعلام والاتصال وعدد الساعات المحدّدة لهذا المقرّر، ووضع مادة علمية تتناسب ومفردات المقرّر وتتناول مراحل تطوّر علم الآثار عبر العصور المختلفة، ناهيك عن تحديد علم الآثار وعلاقته بالعلوم الأخرى، ومعالجة التنقيب الأثري ومختلف المواقع الأثرية.

ولبناء هذا المقرّر الدراسي بُنيت هذه المُقارِبة المعرفية من خلال الفصول العلميّة

التالية:

• **الفصل الأول:**

علم الآثار - النشأة والتطور -

• **الفصل الثاني:**

العلوم المرتبطة بعلم الآثار

• **الفصل الثالث:**

منهجية التاريخ في علم الآثار

• **الفصل الرابع:**

المُقارِبة الحفريّة والتّقيب الأثري

• **الفصل الخامس:**

ثلاثيّة التراث الأثري (التوثيق، الحفظ، والعرض)

• **الفصل السادس:**

التُّراث الثقافي والمنظّمات الدولية

الفصل الأول: علم الآثار-النشأة والتطور-

تمهيد :

عانى علم الآثار من سيطرة الكثير من الخيالات التي كانت تسمى حينها فكراً ونظريات، من قبيل تقسيم الزمن لما قبل الطوفان وما بعده، والعمر الخيالي الميثولوجي للكائنات البشرية والحياة عموماً، هذا ما جعل أحد أبوي الحفريات في بريطانيا R.Colt Hoare يكتب عام 1821 م. " نحن نتحدث عن حقائق لا نظريات، إنني لن أبحث عن أصل مدافن Wiltshire في عالم الرومانسية الحالمة ، ولا حقاً ظهرت التفسير العنصري للآثار وفق خيالات المفاخرات القومية، هذا ما يجعل بعض الآثاريين ينفرون لحد الآن من الأفكار والتنظير غير المرتكز على الدليل الأثري المباشر، ويجعله يكتفون بالجانب التقني من علم الآثار، مفضلين الصمت على الكلام وفق تخمينات وافتراسات نظرية، عادة ما تستخدم في مجالات لا علاقة لها بعلم الآثار.

تعريف علم الآثار :

تعود الجذور الأولى لمصطلح علم الآثار **Archéologie** إلى الكلمة اليونانية

أرخيولوجيا **Archaïologia** وهي تعني الاهتمام بالأشياء القديمة¹.

يتألف مصطلح **Archaïologia** من شقين:

أ- **Archaia**: التي تعني شيئاً قديماً

ب- **Logos**: والتي تعني علماً

وعليه يصبح معنى الكلمة علم الأشياء القديمة أو علم القديم، وترجمها الباحثون

التاريخيون إلى اللاتينية في أوروبا فأصبحت **Antiquitates**.

كما نجد أن قدماء اليونان والرومان استخدموا كلمة أركيلولوج للتعبير عن المسائل

والموضوعات القديمة (أي التاريخ القديم).

كما ارتبطت أيضاً كلمة أركيلوغ عند البلدان الناطقة بالإغريقية بممثلي الدراما الذين

يمثلون الأساطير القديمة على خشبة المسرح في القرن الأول الميلادي عندما ألف المؤرخ

دنيس داليكارنس **Denys D'Halicarnasse** كتاب "الأركيولوجيا الرومانية" في عهد

الإمبراطور أغسطس تناول فيه حروب روما مع قرطاجنة؛ إلا أن هذه الكلمة اختفت منذ

القرن 17، لتحل محلها كلمتين هما أركيولوجيا وأركيوغرافيا ردهما كثيرا الطبيب الرحالة

¹ دانيال، غيلن. موجز علم الآثار، ترجمة عباس سيد أحمد محمد علي. الرياض: دار الفیصل الثقافية، 2000، ص 16.

² سعيد، الحاجي. المدخل إلى علم الآثار. دمشق: منشورات جامعة دمشق، 2016/2015، ص 21.

الفرنسي جاك سبون (1647-1685) Jaque Spon وأُخلط بينهما في كتابيه "رحلة إيطاليا ودلماسيا وبلاد الإغريق والشام" وكتاب آخر يصف "منوعات غنية من الشرق" وقد بقي التلفظ بكلمة أركيولوجيا في حين اختفت الكلمة الثانية أركيوغرافيا وانتشرت في كل اللغات .

وما وجب أن نشير إليه وهو أننا لم نجد ذكر لكلمة أركيولوجيا عند العرب بل حتى كلمة (تاريخ) لم تذكر في القرآن الكريم ولم يذكرها العرب في الجاهلية وهذه الكلمة ظهرت أول مرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وربما أخذت من اليونانية .

كما أن كلمة تأريخ لم نجد لها ذكر في الأحاديث النبوية الشريفة ويعتقد أنها مستمدة من الكلمة السامية التي تعني "القمر" أو الشهر وهي في الأكادية "أرخو" وفي العبرية "يرخ" وربما كانت تعني "التوقيت حسب القمر"

أما في الفترة الحالية فإننا نجد أنّ معظم المصادر تتفق على أن علم الآثار هو العلم الذي يهتم بدراسة ماضي الإنسان في منطقة ما وخلال حقبة زمنية ما ودراسة كل مخلفاته المادية من بقايا العظام، والزجاج، والفخار والمعادن، والمباني، ومحتويات القبور ومختلف الأشياء التي مارست بها تلك الشعوب القديمة نشاطاتها المعيشية، وجميع أشكال الفنون التي طبقوها، والأفكار والطقوس التي كانوا يمارسونها، فضلاً عن البيئة التي عاشوا فيها من مختلف النباتات والحيوانات والمصادر الطبيعية المختلفة، حيث تختلف

كل هذه البقايا فيما بينها من حيث الشكل والحجم واللون والتاريخ. فيتحرى علماء الآثار حياة الشعوب القديمة وبيئاتهم من خلال تحليلهم لتلك المَخلفات والتركيبات البيئية.

علم الآثار هو علم لاسترجاع الماضي وتحليله، والحرص على تتبُّع خطوات التطور التي مرّت خلالها الحضارة البشرية عبر عصورها الماضية، من خلال استقراء واستنباط مختلف المواد الشاهدة لتراث تلك العصور، ومن خلالها يتم استخلاص القيم الثقافية والعلمية والجمالية من كل إبداعات الإنسان ومن كل ما شكّلته أنامله وآلاته تجسيدا لمعتقداته وفنونه في مختلف نواحيها الثابتة منها والمنقولة¹

أما دائرة المعارف الأمريكية فتعرفه على أنه : " العلم الذي يتعامل مع ماضي الإنسان بهدف اكتشاف تاريخه ، وصياغة تسلسل الأحداث التي شهدتها حقب ما قبل التاريخ والحقب التاريخية المبكرة .

كل المَخلفات التي تركتها العصور البشرية القديمة، لا تعبر فقط عن الأدوات كأشياء مادية ملموسة، بل كذلك هي لغة تلك الشعوب التي تروي لنا تاريخها وحياتها وماضيها بسلبياتها وإيجابياتها لنا نحن بنو العصور الحديثة، ومن هذا المنطلق وُصِف علم الآثار بأنه العلم الذي يمسّ كلّ إنسان ويهمّه لأنّ هدفه المباشر هو البحث في

¹ رزق، عاصم محمد. علم الآثار بين النظرية والتطبيق. مصر: مكتبة مدبولي، 1996، ص ص 12-14.

حضارة هذا الإنسان والوقوف عند خصائصها ومميزاتها وصولاً إلى معرفة حقيقة تلك الحضارات القديمة¹.

يقوم علماء الآثار في بعض الأحيان باكتشافات مثيرة ونادرة، نحو اكتشاف قبر يغص بالحلي والأدوات والأواني الذهبية، أو اكتشاف أطلال معبد قديم مكرس لآلهة مميزة أو قصر ملكي، وفي أحيان أخرى اكتشاف مملكة قديمة بكاملها ومع ذلك فإن اكتشاف القليل من الأدوات الحجرية أو بذور من الحبوب المتفحمة، أو قطع نقدية أو نقوش طينية أو حجرية قديمة ربما يزيح الستار بشكل أفضل عن جوانب كثيرة من حياة تلك الشعوب، ويضيف إلى التاريخ وعلم الآثار حقائق لم تكن معروفة سابقاً واكتشاف أنواع الأطعمة والمواد الغذائية التي كان الناس يتناولونها في القديم يجعلنا ندرك أوجه الشبه بين حياة الشعوب القديمة وحياتنا في الوقت الحاضر ويمكن القول إن كل ما يكتشفه عالم الآثار بدءاً من المدن والصروح الكبيرة وانتهاءً بالحبوب وغبار الطلع يسهم برسم صورة متكاملة عن معالم الحياة اليومية في المجتمعات والحضارات القديمة².

ونتيجة لتطور الاكتشافات في مجال علم الآثار أصبح هناك ما يسمى بالتراث الأثري الذي تتشكل عناصره من جميع المخلفات المادية للوجود البشري. وعرف المجلس الدولي للمعالم والمواقع **ICOMOS (International Council on Monuments and Sites)** التابع لمنظمة اليونسكو التراث الأثري **Patrimoine Archéologique** بأنه هو

¹ وولي، ليونارد. أعمال الحفر الأثري. ترجمة: حسن الباشا. القاهرة: دار النهضة العربية، ص 5-6.
² سعيد، الحجي. المرجع السابق، ص 22.

ذلك القسم من التراث المادي الذي تقدم مناهج علم الآثار قاعدة المعارف الأساسية له، ويشمل كل البقايا للوجود الإنساني والأماكن التي أقام الإنسان نشاطاته فيها مهما كانت طبيعتها من مبانٍ وأطلال مهجورة من كل الأنواع على سطح الأرض أو تحتها أو تحت الماء فضلاً عن كل المواد التي ترتبط بها. وعرف بعض العلماء القطعة الأثرية بأنها المتحدّث الرسمي في المقام الأول لفترة زمنية محدّدة من تاريخ الإنسانية.

إنّ التراث هو مجموع ما تتوارثه أجيال الأمة أي أمة من نتاج فكري وإنجاز مادي وما يضيف إليه كل جيل من إسهامات وهو بهذا المعنى هو نشاط إنساني تراكمي متصل ومتواصل وثيق الصلة بالحضارة

و ينقسم التراث إلى ثلاثة أقسام؛ وكل قسم يحتوي على عدة فروع. وتتمثل فما يلي:

- التراث المادي الثابت: يتمثل فيما يلي:

المباني القديمة ذات الطابع التاريخي سواء مدنية كانت أو عسكرية أو دينية وكذا المدن التاريخية والمواقع الأثرية ومساكن الكهوف والقرى والأحياء القديمة والمعالم والأعمال المعمارية ومجموعة المباني التراثية وكل ما يتعلق بها من نقوش وزخارف معمارية ثابتة.

- التراث المادي المنقول: يقصد به التراث الذي يمكن نقله من مكان إلى آخر مثل:

✓ الصور واللوحات والرسوم المصنوعة كلياً باليد أياً كانت المواد التي رسمت عليها

أو استخدمت في رسمتها.

✓ المنحوتات الأصلية المتحركة أياً كانت المواد التي صنعت منها.

✓ الصور الأصلية مطبوعة ومنقوشة على الحجر. طوابع البريد والطوابع المالية

✓ المحفوظات بما فيها المحفوظات الصوتية والفيوتوغرافية والسينمائية.

✓ القطع الأثرية والتراثية ومنتجات الحرف والصناعات التقليدية

✓ الآثار المنقولة التي مضى عليها أكثر من ثلاثمائة عام كالنقوش ثم العملات

والأختام المحفورة

✓ المخطوطات النادرة والكتب المطبوعة في عهد الطباعة الأول والكتب والوثائق

والمطبوعات القديمة

- التراث اللامادي:

يمثل كل ما هو سهل وسريع التلف ونقصه بذلك العادات والتقاليد لما تحمله هاتان

الكلمتان من معان سامية تحضنها التقاليد الشفوية من حكم وأمثال وشعر ملحون

وموشحات ومن طبوع موسيقية غير مكتوبة وعادات اجتماعية وأخلاقية، ويتعلق الأمر

كذلك بالمعارف المرتبطة بالمهن القديمة ولماذا لا الألعاب القديمة

يدرس علم الآثار عناصر هذا التراث من أجل جمع المعلومات التاريخية عن

الاستيطان البشري المتعاقب وعن بيئتها المحيطة، ويمتد تسلسله الزمني من ظهور

الإنسان وحتى يومنا الحاضر، ويمكن أن توجد المخلفات المادية التي يقوم عليه البحث

الأثري في الأرض أو الماء كالبحيرات والأنهار وتحت البحر. تطور مع الوقت حتى

أصبح علم متعدد المجالات جامعاً بين التاريخ والأنثروبولوجيا والجيولوجيا والبيئة والفيزياء والطقس وغيرها¹.

ولتأريخ المكتشفات الأثرية يتم استخدام الكربون المشع¹⁴C ولتأريخ التربة وطبقاتها استخدمت الستراتيغرافيا (علم الطبقات)، كما استخدم علماء الآثار وسائل وطرق مأخوذة من علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة وغيرها من أجل إعادة بناء أنماط الحياة اليومية للحضارات السابقة ضمن إطارها البيئي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي، وهذا ما يشرح تعقيدات وتفرعات وسائل وطرق علم الآثار.

إنّ عملية التّقيب والبحث الأثري هو خلاصة عمل لمجموعة من الأشخاص ذوي الاختصاصات المختلفة والمتنوعة ولا يمكن أن يكون خلالها عالم الآثار باحثاً منعزلاً، فالمختصون بعلوم البيئة والجغرافيا والجيولوجيا والنباتات والحيوانات وغيرهم الكثير يشاركون في الميدان وفي الأعمال المخبرية بتحليل ومعرفة البيئة القديمة والنشاطات الإنسانية والحياة اليومية وكيفية استثمار مصادر المعادن والحيوان والنبات والتبادل الاقتصادي والتجاري بالإضافة إلى وسائل التأريخ الحديثة.

أخذت أتمّة المعلومات والخرائط والصور للمجموعات الأثرية والمواقع بالانتساع وأسهمت في إنجاز الأبحاث والأعمال المتعلقة بالبحث الأثري بسرعة أكبر ودقة أكثر، وباستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال أنشئت قواعد للبيانات وبنوك للمعلومات

¹ سعيد، الحجي. المرجع السابق ص 23.

المتعلقة بالتراث الأثري وأسهم ذلك كله في تطور كبير حصل في مجال علم الآثار وتطبيقاته.

و عليه يسعى علماء الآثار إلى تحقيق جملة من الأهداف من خلال الاهتمام بالمخلفات القديمة إلى:

- التعرف على حياة البشر باكتشاف ودراسة المواقع الأثرية في كل مناطق العالم وتتبع مجرى تطورهم وانتشارهم على سطح الأرض قصد إعادة تركيب حياة وانجازات الشعوب في الماضي خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور القديمة بالبحث في كلما خلفه الإنسان منذ أن خلق على هذه الأرض وذلك باستخدام أساليب العلم الحديث (التصوير المسح - الحفر - العمل المخبري).

- اكتشاف طبيعة ثقافات الإنسان في العصور القديمة وإعادة بناء التاريخ الثقافي للشعوب من خلال دراسة وفحص المواقع الأثرية وتحليل وتفسير محتوياتها في سياقها الزمني والمكاني بقصد اشتقاق التسلسل الثقافي للإنسانية ودراسة سلوك الإنسان وبيئته.

- دراسة تطور الحياة البيولوجية والسلالات الإنسانية.

ويمكن أن نلخص مراحل ظهور ونشأة وتطور علم الآثار فيما يلي :

✓ اهتم علم الآثار في بداية نشأته بوصف ما خلفه الإنسان من أشياء وفنون متعددة ومعرفة الحضارات المنقرضة من قبل بعض الرحالة والهواة في كثير من بلدان العالم القديم ، هذا الاهتمام لم تكن له طريقة خاصة أو أسلوب مميز . وبهذا

يمكن لنا أن نقول بأن هيرودوت هو أب علم الآثار من خلال أثره الموسوم "الإلياذة والأوديسة"؛ إذ قدم لنا بعض الأوصاف والتطبيقات العملية ونقلنا إلى خارج الزمن الحاضر.

✓ وفي مرحلة ثانية ظهرت جهود بعض الباحثين بأكثر فعالية وعملية من خلال جمعهم للنصوص الأصلية التي عرفتتها الحضارات القديمة واجتهدوا على حل رموزها وإعطاء تفسيرات لمضامينها، هذه الجهود اقترنت بمحاولات لاستخراج الآثار من مواقعها الأثرية بأيدي بعض العلماء حيناً وبعض المغامرين حيناً آخر.

✓ وفي مرحلة ثالثة انتقلت اهتمامات علم الآثار إلى عمليات التحليل والتعليل وإعادة تركيب لهذه الآثار ونصوصها في إطار من الالتزام العلمي ومسئولية التاريخ

✓ وتغلغل علم الآثار من ثم بين معالم الحضارات القديمة المتعددة، وانجذب في كثير من الأحيان إلى السعي خلف أصول وأعراف هذه الحضارات التي عكست وحدة الإنسانية وأخوة البشر والحضارات رغم اختلاف الأجناس واللغات والمواقع.

✓ وبالرغم من أن الاهتمام بعلم الآثار بدأ في العصر الحديث، إلا أن محاولات الكشف عن الآثار تعود إلى قبل هذا العصر بآلاف السنين؛ حيث نجد أن الملك "قابونيد" آخر ملوك بابل أمر بالحفر في موقع الهيكل قديم يسبق عهده ب3200

سنة ليعرف مبلغ قدمه

✓ وفي القرن الخامس قبل الميلاد وجدت إشارات أثرية لبعض مؤرخي اليونان؛ كهوميروس الذي يعد أول من قدم لنا معطيات وصفية لمعالم أثرية. وفي القرن الأول ميلادي اهتم المؤرخون بالآثار مثل؛ الكاتب بلينوس ويدور الصقلي واسترابو وفيتروفيوس.

✓ كما اهتم الملوك والأباطرة أيضا بعلم الآثار وقد سبق لنا وأن ذكرنا ملك بابل الملك "نابونيد" ومنهم أيضا: "قيصر يوليوس" الذي كان مولعا بجمع التحف القديمة خاصة الأحجار الكريمة المنقوشة، وكذلك "هادريان" الذي قام بتجديد وتزيين منشآت معمارية كبرى إغريقية ، وكان يحتفظ بالرسوم في مبنى قصره بالمدرسة والأكاديمية ورواق قصره، وهو أول من أنشأ متحفا للهندسة المعمارية ومتحفا للنحت .

✓ وفي القديم كان ينظر إلى الآثار على أنها بقايا وثنية يجب عدم احترامها؛ بل عند البعض كان يستباح تهشيمها وتكاد هذه النظرة أن تكون موجودة عند العرب في المراحل الأولى للإسلام، إلا أننا نجد بعض الاهتمام من المؤرخين المسلمين القدامى بالآثار، لكنهم لم يتعدوا وصفها وقراءة كتاباتها إن وجدت، وكانوا ينسبونها أحيانا إلى الجن أو إلى سليمان النبي أو قوم عاد ومنها جاءت تسميتها بالعاديات. ومن هؤلاء المؤرخين نذكر على سبيل المثال: ابن عساكر وابن العديم وابن شداد والمقريري. ومن الجغرافيين الذين اهتموا بالآثار نذكر المقدسي وابن

رستم والإدريسي. ومنهم من دعا إلى حفظ الآثار والاهتمام بها كجزء من تراث الأمة كابن خلدون وعبد اللطيف البغدادي. واهتم ابن فضل الله العمري بآثار مصر وخاصة أهراماتها وألف كتباً تحدث عن عجائبها وحسن صنعها. كما ألف الهمذاني كتباً عن آثار اليمن واهتم الأزرقى بآثار مكة، وألف عن آثار فارس حمزة الأصبهاني

✓ كما اهتم الأوروبيون في العصر الحديث بالآثار اليونانية والرومانية الموجودة حولهم؛ ثم بدأ الاهتمام بآثار الشعوب الأخرى مع ظهور الاستعمار وخاصة في بلاد الشرق على يد الحملات الفرنسية والانجليزية التي كانت تحمل معها علماء ورجال دين وتجار للكشف عن الآثار وحملها إلى أوروبا

✓ عرف علم الآثار تطوراً كبيراً عند بداية الاهتمام بعمليات التنقيب؛ إلا أن هذه العمليات كثيراً ما كانت لا تخلو من الأخطاء، وبصفة خاصة التخريب الذي كان يلحق بالمواقع جراء الحفر إلى جانب الاقتصار على الاهتمام بالتحف الثمينة عن غيرها من اللقى الأثرية الأخرى التي أصبحت تعد في علم الآثار الحديث ذات أهمية بالغة لا تقل عن تلك التحف، حيث أصبح عالم الآثار لا يفرق بين تحفة من طين وتحفة من ذهب وبين بقايا عظمية وأخرى فضية وبين بقايا حجرية وأخرى رخامية .

الفصل الثاني: العلوم المرتبطة بعلم الآثار

أولاً- أهمية العلوم المساعدة لعلم الآثار:

لقد كان علم الآثار في بدايته الأولى عبارة عن وصف للعمائر والأطلال القديمة والمدافن الضخمة التي بقيت ظاهرة للعيان فوق الأرض وقاومت عوامل الطبيعة على مر العصور، ثم أصبح علما مستقلا ومتميزا يعتمد على كل الوثائق الممكنة بلا تحديد ويستفيد من كل الوسائل التي تقدمها العلوم الأخرى ومعطياتها. هذه الاستفادة من العلوم في علم الآثار وتطبيقاته قاد إلى التحول في تطور علم الآثار في السنوات الأخيرة، وأدى إلى انقسام فكري و منهجي في موضوع الآثار بين مدرسة أثرية تقليدية ومدرسة تجديدية.

ففي السابق كان علماء الآثار يعتمدون في تصنيف المكتشفات الأثرية و تبويبها والتقريب فيما بينها، ولكن بعد اكتشاف طرائق التأريخ الحديثة المطلقة أصبح في يد علماء الآثار الوسيلة المثلى في حل مشكلة تحديد زمن البقايا الأثرية الذي يشكل عنصرا مهما من أهداف البحث والتنقيب الأثري. كما استفاد علم الآثار من عناصر جديدة في مجال العلوم الفيزيائية والكيميائية والطبيعية، مثل علم النباتات وعلم الحيوان وعلم البيئة، وأصبحت مثل هذه العلوم أداة مهمة لتفسير المعطيات والمسائل الأثرية، مثل معرفة تطور الزراعة وبداية تهجين الحيوان واختلاف المناخ الطبيعي وتطوراته على مدى الأزمنة السابقة.

أما فيما يتعلق بالاتجاه للعلم مؤخرا في الكشف عن الآثار التي لازالت محفوظة في باطن الأرض فإن هناك العديد من العلوم المساعدة في هذا المجال، إذ أن البحث عن الآثار كان ولا زال يعتمد بشكل كلي على أعمال الحفر اليدوي التي تتطلب الوقت والجهد والمال، وظل الأمر على هذا الحال إلى أن اتجه بعض العلماء والباحثين مؤخرا إلى العلم الحديث ليساعدهم ويسهل عملهم، واهتموا في البحث عن الأجهزة التي تدل على الأماكن في وجود الآثار. وقد حدث الاتجاه في نهاية القرن الماضي عندما وجه العلم بحوثه ودراساته إلى الأمور غير المحسوسة ولاسيما الموجات الكهرومغناطيسية والأشعة السينية والكونية وغيرها في محاولات دائبة للإفادة التطبيقية منها، و قد تم التوصل إلى الكثير من الإنجازات في هذا الصدد، وكان من نتيجة هذا أن ظهرت العلوم المساعدة للكشف عن الآثار أو الكنوز المدفونة في باطن الأرض من دون اللجوء إلى الحفر اليدوي، كالاستشعار عن بعد والجيوفيزياء والرنين المغناطيسي وغيرها من الوسائل والطرق التي أصبحت تستخدم في مجال البحث عن الآثار الغارقة تحت البحر.

إن التوجه الجديد في علم الآثار يسعى إلى وضع أسس منهجية للبحث الأثري المتعدد الجوانب الذي يشترط فيه العديد من العلوم والتقنيات. وهو ما يؤدي إلى السماح لعلم الآثار بمعالجة المادة أو المشكلة الأثرية بدراستها ضمن الإطار البيئي والمعيشي الكامل للإنسان، من حيث التضاريس الجغرافية للمنطقة التي سكنها والموارد الطبيعية من

ماء ونبات وحيوان ومعادن وغيرها والمناخ و متغيراته، و لتطبيق هذه الدراسة يجب توفير وتضافر العديد من العلوم والتخصصات المختلفة ذات العلاقة.

وهو ما يطلق عليه اسم التوصيف البيئي **Caractérisation** **environnementale** لدراسة البيئة القديمة للمناظر الطبيعية والأنشطة البشرية والمناخ والنبات **Archeobotanical** (حبوب اللقاح والبذور والحبوب والفواكه، واختيار النباتات، الغابات) والحيوان **Archeozoology** (تطور الأنواع، تدجين، القطعان، التقنيات) فضلا عن علم الآثار الجنائزية والديموغرافيا والحالة الصحية للسكان **Paleobiology** (تحليل نظام غذائي عن طريق تحليل النظائر من دراسة العظام، وعلم الوراثة من DNA).

ويمكن تصنيف العلوم المساعدة إلى فئتين: العلوم المساعدة القديمة في مجال العلوم الجغرافية البيئية والعلوم التاريخية و الإنسانية، والعلوم المساعدة الحديثة في مجال العلوم الرياضية والفيزيائية والكيميائية والمعارف الفنية والتقنية.

ثانيا - العلوم القديمة:

علم التاريخ:

إذا كان علم الآثار يهتم بالدراسة العلمية لبقايا الحضارات القديمة التي تبدأ مع صنع أول مادة من قبل الإنسان فإن علم التاريخ¹ يهتم بدراسة الوقائع التي بدأت مع بداية التدوين و اختراع الكتابة قبل منذ الألف الرابع ق.م و حتى يومنا هذا.

يعنى علم الآثار بدراسة الإنسان منذ بداية ظهوره كما يعنى بدراسة مختلفة من الأدوات التي صنعها والأسلحة التي استعملها والكهوف والمنازل التي عاش فيها، والقبور التي حوت رفاتة والمعابد التي تعبد فيها والكتابات التي دون بها أعماله وغير ذلك مما يعثر عليه عالم الآثار فوق سطح الأرض أو في باطنها من بقايا الإنسان ومخلفاته. فالماضي إذن هو مجال بحث علم الآثار، ويشمل هذا الماضي كل العصور والأزمنة التي عاشها الإنسان والتي وجدت بقاياها في أوروبا وأفريقيا وآسيا. ويتتبع عالم الآثار كل هذه المخلفات خلال حقب الزمن ويقارن بعضها بالآخر ويحدد عصورها تبعا لتطور حياة الإنسان وتطور صناعته، وينتقل في دراسته من العصور الحجرية المختلفة ثم يدخل معتمدا في هذا التقسيم على المادة التي كان يستخدمها إنسان هذه العصور وأدواته، ثم يقسم تلك العصور ذاتها إلى حقب وأزمنة طبقا للتطور في الأدوات وطرزها وأنماطها

¹ - لم يكن هناك قبل عهد اليونان تاريخ بالمعنى المفهوم، لأن كلمة تاريخ History تعني تحديد الزمن ووصف مجريات الحوادث الماضية فيه، و قد أطلقت من ثم على العهد الثابت الذي يؤرخ به اليوم مثل التاريخ الميلادي أو التاريخ الهجري أو نحوهما، و لم تظهر هذه الكلمة في اللغات الأوربية إلا بعد أن أطلق المؤرخ اليوناني الشهير هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد كلمة Histora و تعني باليونانية البحث والتحري عن أحداث الماضي و تسجيل هذه الأحداث و تحليلها، و قد تطابقت الكلمة بهذا المفهوم مع ما ذكره المؤرخ العربي الشهير ابن خلدون بعد ذلك بكثير عندما عرف التاريخ في مقدمته على أنه بحث و نظر و تدقيق و تمحيص في أحداث الماضي، و من هنا فهو سجل لهذا الماضي يمكن من خلاله دراسة تطور الإنسان، و ما أحدثه في الحياة البشرية من منجزات حضارية و مادية أو روحية.

وزخارفها، حتى إذا عرف الإنسان الكتابة حدد عالم الآثار بهذه المعرفة بدأ العصر التاريخي، وعد ما قبل ذلك مرحلة مستقلة.

ومع بداية العصر التاريخي يلتقي علم الآثار علم التاريخ الذي يعتمد في كتابة التاريخ على الوثائق المدونة، أما ما قبل ذلك فيعتمد في دراسته على ما يقدمه علم الآثار الذي يشمل الماضي منذ بدأ ظهور الإنسان على الأرض، وإذا علمنا أن أول معرفة للإنسان للكتابة بدأت في وادي النيل وفي بلاد النهرين في القرن الثاني والثلاثين قبل الميلاد، نجد أن حقبة العصور التاريخية لا تعدو سنته آلاف سنة بينما يقدر عمر الإنسان على الأرض بنحو عشرة ملايين سنة، وهذا ما يميز علم الآثار من غيره من العلوم ويجعله علما مشوقا لاتساع مجال بحثه.

وامتد علم الآثار في السنوات الأخيرة إلى الكشف عن الآثار الموجودة تحت الماء من حطام السفن الغارقة في البحار والمحيطات أوالبقايا البشرية والحيوانية والمنشآت الأثرية التي غمرتها المياه، كما امتد إلى أبعد من ذلك حين شملت اهتمامه اثار الثورة الصناعية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية من الآلات والصناعات التي استحدثها هذه الثورة خلال المرحلة الماضية.

و إذا كان علم التاريخ يعتمد على علم الآثار في معارفه عن عصور ما قبل التاريخ كما يستمد منه المعلومات عن العصور التاريخية أيضا وما يقدمه في هذا المجال من معلومات تاريخية وحضارية فإن العلمين يتفقان معا في مناهج البحث، إذ أن كلا منهما

يعني بجمع الحقائق وترتيبها وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها، ولكنهما يختلفان من حيث اعتماد المؤرخ على الوثائق المدونة بينما يعتمد عالم الآثار على المادة التي خلقها الإنسان وتطورها ودلالاتها خاصة عصور ما قبل التاريخ، كما يعني عالم الآثار بكل كبيرة وصغيرة مما يعثر عليه لأنه يجد فيها مادته التي يبني عليها معلوماته ويرتب استنتاجاته.

و قد أدى العثور على آثار مصرية محددة التاريخ بين آثار كريت المينوية، نسبة إلى الملك مينوس الذي حكم مدينة كنوسوس إلى تاريخ هذه الآثار وتاريخ آثار أخرى مشابهة وجدت بعيدا عن قصر كنوسوس بعد أميال. كما أدى العثور في تربة جافة بمدينة أور بالعراق على طبعة قيثارة من الخشب بليت تماما إلى تشكيل تلك القيثارة التي ترجع إلى عصر حضارة السومر و معرفة أدق أجزائها. أما المؤرخ فلا تعنيه دقائق الأشياء و إنما يعنى بالمسائل العامة التي تفيده في بناء التاريخ الذي يكتبه، فلا يهتم بمعرفة التفاصيل المعمارية لقصر أو قلعة إنما تهتم معرفة باني القصر أو القلعة مثلا.

وعلى ذلك فإن العلاقة بين التاريخ و الآثار لا تنحصر في أن المعرفة بحضارة الإنسان هي حصيلة تتراكم على مر الزمن، ويساعد على الآثار على مدها بالمعلومات، لأن المؤرخ لا يجابه هذا الماضي بمفرده مباشرة، إنما يجابهه عن طريق الآثار والنصوص التي خلفها هذا الإنسان، وعلة الآثار هو العلم الذي يعتمد على جمع هذه المخلفات وتحليلها لاستكشاف حقيقة الماضي منها.

إن الآثار و التاريخ صنوان فهما يبحثان في معرفة العصور، إن تجمع جهود تاريخ الإنسان المتعاقبة في الحضارة و تكمن علم الآثار من تتبع حركات الشعوب وأخبارهم وحروبهم وانتصاراتهم ومعتقداتهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية، ولما قرأت كتاباتهم القديمة أمكن معرفة شيء عن أفكارهم أيضا، وهذه العلاقة الوثيقة بين علم الآثار والتاريخ¹.

2- علم الجغرافيا:

يرتبط علم الآثار بعلم الجغرافيا وفروعه المختلفة ، وخاصة الجغرافيا الطبيعية التي تدرس طبيعة الأرض وتضاريسها والجغرافيا التاريخية التي تبحث في علاقة الإنسان بالأرض التي يعيش عليها وجغرافية المدن وحدودها وحاصلاتها وما كان يوجد بها وبعبد فيها وغير ذلك.

وعلاقة الآثار بالجغرافيا علاقة قوية فهي تحدد الوسط الطبيعي والأقاليم الجغرافية التي عاش بها الإنسان ومارس نشاطاته عبر الزمن والأحوال المناخية التي كانت سائدة آنذاك، من حيث الحرارة والرطوبة والجفاف ومعرفة الحيوانات البرية والأليفة النباتات الطبيعية والزراعية ودراسة المتحجرات منها التي تعد من الأمور المهمة والمساعدة التي لا غنى عنها لدراسة آثار عصور ما قبل التاريخ. كما إن علم الآثار أخذ مبدأ تعاقب الطبقات من علم الجغرافيا الذي يساعد في دراسة عمر الصخور في مناطق الأنهار

¹ - Toynbee A., 1947, A study of history, oxford.

والبحار والكهوف كما يساعد في إيجاد تفسير لوجود البقايا الأثرية في المناطق البعيد
عن الأنهار وشواطئ البحار.

كانت نظم المعلومات الجغرافية أداة مهمة في علم الآثار منذ أوائل التسعينيات في
الواقع ، كان علماء الآثار من أوائل المتبنين والمستخدمين والمطورين لنظم
المعلومات الجغرافية وعلوم المعلومات الجغرافية . تم اعتبار الجمع بين نظم المعلومات
الجغرافية وعلم الآثار تطابقاً تاماً ، نظراً لأن علم الآثار غالباً ما يتضمن دراسة البعد
المكاني للسلوك البشري بمرور الوقت ، وكل علم الآثار يحمل مكوناً مكانياً.

و نظراً لأن علم الآثار ينظر إلى تطور الأحداث التاريخية من خلال الجغرافيا
والوقت والثقافة ، فإن نتائج الدراسات الأثرية غنية بالمعلومات المكانية. إن نظم
المعلومات الجغرافية بارعة في معالجة هذه الكميات الكبيرة من البيانات ، خاصة تلك
المشار إليها جغرافياً. إنها أداة فعالة من حيث التكلفة ودقيقة وسريعة. الأدوات المتاحة
من خلال نظم المعلومات الجغرافية تساعد في جمع البيانات ، وتخزينها واسترجاعها ،
والتلاعب بها لظروف مخصصة ، وأخيراً ، عرض البيانات بحيث يمكن للمستخدم فهمها
بصرياً. ومع ذلك ، فإن أهم جانب من نظم المعلومات الجغرافية في علم الآثار لا يكمن
في استخدامه كأداة خالصة لرسم الخرائط ، ولكن في قدرته على دمج وتحليل أنواع
مختلفة من البيانات من أجل إنشاء معلومات جديدة. لقد أدى استخدام نظم المعلومات
الجغرافية في علم الآثار إلى تغيير ليس فقط الطريقة التي يكتسب بها علماء الآثار

البيانات ويتصورونها ، ولكن أيضاً الطريقة التي يفكر بها علماء الآثار في الفضاء نفسه. لذلك أصبح نظام المعلومات الجغرافية علماً أكثر منه أداة موضوعية.

- نظم المعلومات الجغرافية في المسح :

المسح والتوثيق مهمان للحفاظ وعلم الآثار ، ونظام المعلومات الجغرافية يجعل هذا البحث والعمل الميداني فعالاً ودقيقاً . تُستخدم الأبحاث التي تُجرى باستخدام إمكانات نظم المعلومات الجغرافية كأداة لصنع القرار لمنع فقدان المعلومات ذات الصلة التي قد تؤثر على المواقع والدراسات الأثرية. إنها أداة مهمة تساهم في التخطيط الإقليمي وإدارة الموارد الثقافية لحماية الموارد ذات القيمة من خلال الحصول على البيانات حول المواقع التاريخية والحفاظ عليها.

في علم الآثار ، يزيد نظام المعلومات الجغرافية من القدرة على رسم الخرائط وتسجيل البيانات عند استخدامها مباشرة في موقع الحفريات. يسمح هذا بالوصول الفوري إلى البيانات التي تم جمعها للتحليل والتصوير كدراسة منفصلة أو يمكن دمجها مع مصادر البيانات الأخرى ذات الصلة للمساعدة في فهم الموقع ونتائجه بشكل أفضل.

يتم استخدام قدرة نظم المعلومات الجغرافية على نمذجة المواقع الأثرية المحتملة والتنبؤ بها من قبل الشركات التي تشارك في استخدام مساحات شاسعة من موارد الأراضي مثل وزارة النقل. يتطلب القسم 106 من قانون الحفظ الوطني تحديداً أن يتم

تقييم المواقع التاريخية وغيرها من أجل التأثير من خلال المشاريع الممولة فيدرالياً. يمكن تحديد استخدام نظم المعلومات الجغرافية لتقييم المواقع الأثرية التي قد تكون موجودة أو ذات أهمية من خلال النمذجة التنبؤية. ثم يتم استخدام هذه الدراسات والنتائج من قبل الإدارة لاتخاذ القرارات ذات الصلة والتخطيط للتطوير المستقبلي. يجعل نظام المعلومات الجغرافية هذه العملية أقل استهلاكاً للوقت وأكثر دقة.

هناك عمليات مختلفة ووظائف نظم المعلومات الجغرافية المستخدمة في البحث الأثري. يساعد التحليل المكاني داخل الموقع أو التحليل التوزيعي للمعلومات الموجودة على الموقع في فهم التكوين وعملية التغيير وتوثيق الموقع. هذا يؤدي إلى البحث والتحليل والاستنتاجات. الأساليب القديمة المستخدمة لهذا الغرض توفر تعرضاً محدوداً للموقع ولا تقدم سوى صورة صغيرة للأنماط على مساحات واسعة .

تُستخدم بيانات النقاط في نظام المعلومات الجغرافية للتركيز على مواقع النقاط وتحليل الاتجاهات في مجموعات البيانات أو لاستيفاء النقاط المتفرقة. يتم إجراء تخطيط الكثافة لتحليل اتجاهات الموقع ويتم الاستيفاء لمساعدة نتائج السطح من خلال إنشاء الأسطح من خلال بيانات النقاط ويتم استخدامه للعثور على المستويات المشغولة في الموقع. البيانات الجوية أكثر شيوعاً. يركز على المناظر الطبيعية والمنطقة ويساعد في تفسير المواقع الأثرية في سياقها وبيئاتها. يتم تحليل البيانات الجوية من خلال النمذجة

التنبؤية التي تستخدم للتنبؤ بموقع المواقع والمواد في المنطقة. يعتمد على المعرفة المتاحة وطريقة التنبؤ والنتائج الفعلية. يستخدم هذا في المقام الأول في إدارة الموارد الثقافية.

- نظم المعلومات الجغرافية في التحليل :

GIS قادرة على تخزين مجموعات بيانات متعددة ومعالجتها ودمجها ، مما يجعل التحليلات المعقدة للمناظر الطبيعية ممكنة. تحليل مستجمعات المياه هو تحليل مناطق مستجمعات المياه ، المنطقة المحيطة بالموقع التي يمكن الوصول إليها مع إنفاق وقت أو جهد معين. تحليل مجال الرؤية هو دراسة المناطق المحيطة بالموقع والتي يمكن رؤيتها من ذلك الموقع. تم استخدام هذا لتفسير علاقة المواقع بمشهدها الاجتماعي. المحاكاة هي تمثيل مبسط للواقع ، في محاولة لنمذجة الظواهر من خلال تحديد المتغيرات الرئيسية وتفاعلاتها. يستخدم هذا للتفكير في صياغة المشكلة ، كوسيلة لاختبار التنبؤات الافتراضية ، وكذلك كوسيلة لتوليد البيانات.

في السنوات الأخيرة ، أصبح من الواضح أن علماء الآثار لن يكونوا قادرين على حصد الإمكانيات الكاملة لنظام المعلومات الجغرافية أو أي تقنية مكانية أخرى إلا إذا أصبحوا على دراية بالمزلق والإمكانيات المحددة الكامنة في البيانات الأثرية وعملية البحث. يحاول علم المعلومات القديمة الكشف عن الأنماط والخصائص المكانية والزمانية في علم الآثار واستكشافها. ينتج عن البحث نحو نهج أثري فريد لمعالجة المعلومات طرق كمية وبرامج كمبيوتر موجهة بشكل خاص نحو حل المشكلات الأثرية وفهمها.

3- الجيولوجيا و الجيومورفولوجيا :

الجيولوجيا هي دراسة عوامل الترسيب والحت وتكون الصخور وما فيها من فحم أو معادن أو مستحاثات، تقدم فكرة عن عمر هذه الصخور وعن الجو الذي أنشأت فيه، وانطلاقا من معرفة الإنسان هذه الأمور يمكن تعرف عمرها التقريبي أو النسبي، و هذه المعرفة الأولية تقدم لعالم الآثار قاعدة ينطلق منها إلى مزيد من الدراسة. وترتبط دراسة الجيولوجيا بدراسة الآثار دراسة وثيقة، و من مجالات الارتباط الوثيق بين العلمين مسألة الرصف الطبقي تلك المسألة التي تعد العماد الرئيسي في دراسة المواقع الاستيطانية البشرية القديمة والطريقة الوحيدة لترتيب السويات الأثرية للحضارات القديمة زمنيا. هذه الطريقة تقتضي في علم الجيولوجيا وجود تعاقب طبقي للأرض بموجبه يكون الأسفل أكثر قدما وهكذا. أما في علم الآثار فنقول الطريقة أن الأسفل هو الأقدم استيطانا للمكان بموجب مبدأ العلو و الارتفاع تتعاقب السويات الحضارية مكانيا بالوقت الذي فيه تتعاقب زمنيا، وبهذا أمكن رصدها تتابعيا. والاستكشافات الميدانية من مجالات الارتباط المهمة بين العلمين، فمما لا شك فيه أن للجيولوجيين مساهمة فعالة في التعريف بموقع الاستيطان البشري، ولكن عمل الجيولوجي ميداني في غالب الأحيان فإن أماكن ارتياده عادة ما تكون أماكن وجود الإنسان القديم، فالجيولوجيون هم المخبرون عن مواقع الاستيطان القديم.

وفي دراسة علم الآثار للإنسان وبقاياه لا يقتصر البحث على الإنسان وحياته ، بل يتناول قصة الإنسان كاملة فيبحث عن جنسه وسلالته وتكوينه وعلاقته بالنبات والحيوان والبيئة التي كان يعيش فيها ، والظروف المناخية والجيولوجية والطبيعية التي أحاطت به ، وهنا يتصل علم الآثار بعلوم أخرى تعينه في بحثه مثل علم الجيولوجيا الذي يعنى بدراسة طبقات القشرة الأرضية وتكوينها ويحدد عصورها وهي الطبقات التي قد توجد فيها بقايا الكائنات وأدوات الإنسان وآلاته.

ينحصر مجال كل من الجيولوجيا والجغرافيا كما أشرنا سابقا في نشاط الأجيال البشرية خلال الوسط الطبيعي الذي نما فيه الإنسان والحيوان ، ومع أن بعض الحيوانات ظلت متشابهة - كما هو معروف - طوال ما يقارب من أربعة آلاف عام ، فإن دراسة ما تحجر من هذه الحيوانات والنباتات تعد واحة من أهم الدراسات التي لا غنى عنها بالنسبة لعصر ما قبل التاريخ ، ولا بد منها من ثم لدراسة آثار هذا العصر.

ليس هذا فقط بل إن بعض التريات الأرضية ولاسيما الرملية وذات الحصى والصخور المتبلورة مثل الطباشيرية أو الجيرية أو الأحجار الرملية تتكون غالباً من مركبات تعطي صفات أثرية تحل في كثير من الحالات ألكاز أو أحاجي لدى المنقب في حقل الآثار، ومن هنا فإن تضافر جهود كل من الجيولوجي وعالم الآثار لبيان أهمية هذه المزايا والصفات يعد أمراً حيويّاً وضرورياً . لأنه يمد هذا وذاك بالخبرة اللازمة لفهم ما يقابل كلا منهما من عقد ومشكلات

الجيولوجيا والجغرافيا تحددان الوسط الطبيعي الذي نما فيه الإنسان ونشاط الأجيال البشرية، ونحن نعلم أن بعض الحيوانات ظلت مشابهة لذاتها خلال أربعة آلاف سنة، ودراسة الحيوانات والنباتات المتحجرة هي من الأشياء الهامة والمساعدة التي لا غنى عنه لدارس عصر ما قبل التاريخ.

أما الجيومورفولوجيا علم شكل الأرض فهو يتناول الشكل العام للأرض بدراسة طبيعة وتقسيم ووصف ونشأة وتطور الملامح التضاريسية الموجودة حالياً على سطح الأرض، وعلاقتها بما تحتها من صخور وتراكيب، وما مر بها من أحداث خلال الزمن الجيولوجي، وتتركز معظم جهوده في مفهومه الحالي على الملامح الناتجة من عمليات التعرية والترسيب. وللجيومورفولوجيا علاقة مباشرة بالآثار فهي تقدم صورة ما طرأ في زمن محدد من تشكيلات في سطح الأرض والبحار والأنهار في المنطقة موضوع البحث الأثري.

4- الأنثربولوجيا:

يصعب الحديث عن تطور علم الآثار بفروعه كعلم واحد وبالتالي عن علاقة هذه الفروع بالعلوم الأخرى، وذلك بسبب تطور فروع علم الآثار باستقلال عن بعضها البعض زمانياً، ومكانياً أحياناً، والحال نفسه ينطبق على علم الأنثربولوجيا بفروعه المتعددة. إلا أن فرع عصور ما قبل التاريخ في الدراسات الأثرية هو مفتاح العلاقة مع فرع الأنثربولوجيا الثقافية في الدراسات الأنثربولوجية حتى أنه يصعب التمييز بينهما في

المجال النظري، وكذلك يُدرس فرع عصور ما قبل التاريخ في الكثير من الجامعات ضمن الأنثروبولوجيا الثقافية ، حيث أن نظام التدريس في كندا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي السابق يعتبر علم الآثار أحد فروع الأنثروبولوجيا الثقافية، ولهذا سنتبع فرع عصور ما قبل التاريخ من علم الآثار، مع أن بقية فروع علم الآثار تستخدم النظريات الثقافية والاجتماعية، من الأنثروبولوجيا وفرع المعرفة الأخرى، وإن يكن بشكل غير مُعلن وممنهج، كاستخدام مصطلحات الطبقات مثلاً، ذو الأبعاد الاجتماعية.

هناك علوم مساعدة لعلم الآثار لها دور فعال في مجال دراسة الإنسان وحضارته، منها علوم إنسانية ومنها علوم تطبيقية معملية وتتعاون هذه العلوم مع علم الآثار من أجل الحصول على معلومات وافية عن الإنسان و حضارتها في شتى بقاع الأرض. ويأتي في مقدمة هذه العلوم علم دراسة الإنسان الأنثروبولوجيا Anthropologie الذي يقوم بدراسة الخصائص الإنسانية البيولوجية والثقافية للنوع الإنساني عبر الزمان وفي سائر الأماكن، تحليل الصفات البيولوجية والثقافية المحلية كأنساق مترابطة ومتغيرة وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة، كما يهتم بوصف وتحليل النظم الاجتماعية والتكنولوجية وبحث الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصاله.

أما بداية الانثروبولوجيا فكانت في القرنين 15 و 16 م. مع الرحالة والمكتشفين للمجموعات البشرية غير الأوروبية وما سمي حيناً بالمجتمعات "البدائية أو المتوحشة"، فقد

جمعوا معلومات وملاحظات وصنفوها مثل ما قام به الفرنسي الأب جوزيف لافيتو في النصف الأول من القرن الثامن عشر، الذي استنتج أن "التنظيمات الاجتماعية عند الإيروكيز تساوى التنظيمات البدائية لبني الإنسان. واكتشف لافيتو وجود تشابه بين النظام الأمومي عند الإيروكيز مع ذلك النظام ما قبل التاريخي الذي وصفه هيرودوت (480-425 ق.م.) عند سكان ليكيا في آسيا الصغرى. ولكون لافيتو حاول تفسير وجود هذا التشابه باحتمال انتشار هذا النظام من آسيا الصغرى إلى أمريكا فإنه يجوز عد لافيتو من أوائل القائمين بمبدأ الانتشار الثقافي. diffusion of culture. إلا أن أعمال المستكشفين ما لبثت أن استقرت في أيدي الفلاسفة والباحثين الاجتماعيين ليدرسوها ويستنتجوا منها أشكال التنظيمات الاجتماعية وتعقيدها. منها ما قدمه جيامباتستا فيكو (1744-1668) عن دورة التغيير الاجتماعي، والفيلسوف الفرنسي شارل دي مونتسكيو (1755-1689) عن الحتمية الجغرافيا في التغيير أشكال الاجتماع البشري، (النور؛ شلابي) وتتبع النظريات في تطور الحياة الإنسانية خلال 30 عاماً من العام 1857 حتى 1890 صدرت مجموعة من الكتب ساهمت في بلورت الأنثروبولوجيا.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر (مع المد الاستعماري الأوربي) جرت محاولات "منظمة" لفهم المكتشفات الأثرية بمقارنتها بالبنى الحياتية للمجتمعات المصنفة "بدائية"، انطلاقاً من افتراض هذه المجتمعات كنوع من "المتاحف الحية" وتمثل مرحلة "طفولة" للمجتمعات الأوربية، وكذلك مجال لاختبار الاستنتاجات والفرضيات حول تقدم

وتعتقد المجتمعات (النور؛ شلابي)، كما أشار البريطاني R.L. Fox 1851 م. الذي درس تطور الأسلحة النارية وصنفها بتتابع تسلسلي (Seration) تطوري محاكياً خطأ الآثاريين، وأدخل مصطلح التصنيف وفق الخصائص (typology) وركز على أهمية الدراسات الاثنوغرافية لعلم الآثار

يكشف هذا المفهوم لمجالات الأنثروبولوجيا التي تعنى من وجهة نظر العلماء دراسة النواحي البيولوجية والثقافية على حد سواء و يستخدم الأمريكيون مصطلح الأنثروبولوجيا العضوية **Biological Anthropology** للإشارة إلى دراسة الجانب العضوي أو الحيوي للإنسان، ومصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية **Cultural Anthropology** للتعبير عن دراسة النواحي الاجتماعية والثقافية للإنسان ويدخل في نطاقها كل ما يتعلق بحضارات الإنسان القديم وهو ميدان علم الآثار، لذا كان في مضمونه جزءاً من الأنثروبولوجيا الثقافية كما يندرج علم دراسة اللغات القديمة **Phiolologie** في النطاق نفسه.

ويدخل في نطاق علم الأنثروبولوجيا الثقافية وفق المفهوم الأمريكي مجالان دراسيان على نفس الدرجة من الأهمية وهما الأثنوغرافيا **Ethnography** ويعني دراسة وصفية لأنماط الحياتية والعادات والتقاليد والقيم الدينية والفنون لجماعة أو شعب معين خلال حقبة زمنية محددة، والأثنولوجيا **Anthology** وهو المجال الذي يهتم بالدراسة التحليلية والاستنباطية لسائر مواد الدراسة الأثنوغرافية.

بينما يختلف المفهوم الأوروبي لعلم الأنثروبولوجيا ومجالاته عن المفهوم الأمريكي إذ يقتصر المفهوم الأوروبي على أن الأنثروبولوجيا يطلق على مجالات التاريخ الطبيعي للإنسان والسلالات البشرية جنسا ونوعا وخصائص تشريحية وعمليات بيولوجية وعلاقة هذا بتحديد الوظائف والأدوار الاجتماعية لكل نوع.

وعلم الأنثروبولوجيا علم دراسة الأعراق البشرية من الناحية الطبيعية، ويمكن الإفادة منه في مجال علم الآثار من خلال الهياكل العظيمة البشرية والتعرف على السلالات البشرية أول الأعراق صاحبة المكتشفات الأثرية، وتحديد جنس وعمر وحالة صاحي الهيكل العظمي المكتشف خلال الحفريات الأثرية من خلال الدراسة الأنثروبولوجية، وكذلك الأمر بالنسبة لدراسة الهياكل العظمية الحيوانية، كما يتم مقارنة هذه الهياكل مع غيرها في المناطق الأخرى لمعرفة السلالات البشرية البائدة¹.

فمثلا من خلال فحص العظام في المدافن المصرية القديمة تم اكتشاف تأثير البيئة على صحة الإنسان في مصر القديمة، فقد اتضح مثلا انتشار مرض التهاب المفاصل بين المصريين القدماء بدليل تضخم رؤوس العظام عند المفاصل، ومن ناحية التلوث البيئي اتضح أن التلوث بالرصاص في مثر القديمة كان أقل بثلاثين مرة عما هو عليه اليوم وتم التوصل إلى ذلك من خلال تقنية التحليل الطيفي للانبعاث المرئي

.² Optical emissionspectrometry

¹ - للمزيد من المعلومات أنظر : علي جباوي: علم الإناسة الأنثروبولوجيا، جامعة دمشق، 1997، ص 9.

² - حنون نائل، 2011، ص 135.

ويمكن أن نلخص علاقة علم الآثار بالإنثروبولوجيا بمختلف فروعها فيما يلي :

علم الآثار والأنثروبولوجيا الاجتماعية

إن دراسات الأنثروبولوجيا الاجتماعية التي تهتم بدراسة المجتمعات البشرية وبنائها وأنساقها، تشكل دعامة مهمة لعلم الآثار في تفسيره لمادته الأثرية التي تنشأ في حالة اجتماعية ما وتتأثر بها وتتوثر بها أيضاً .

علم الآثار والأنثروبولوجيا الحيوية (الفيزيائية)

كون النوع الإنساني له تاريخ تطوري بيولوجي كشفت عنه الدراسات الأنثروبولوجيا الطبيعية فبالتالي إن المخلفات الأثرية المرتبطة بالتسلسل التطوري للبشر تشكل حلقة وصل بين العلمين، ويتضح هذا في أدوات الهوموإركتوس والنياندرتال والعائل، وفي هذا المجال نجد الآثاري الأنثروبولوجي يعملان في نفس الحفرة، فاللقى البيولوجية للإنسان يدرسها الأنثروبولوجي واللقى الدالة على النشاط الإنساني (مصنوعات، رسوم، آثار استيطان) يدرسها الآثاري ، كما توصلت هذه العلاقة بشكل لا أساس علمي له، وذلك في دراسة الأنثروبولوجية للسلاسل البشرية ما بعد الإنسان العاقل ومحاولة المفاضلة بينها وربط الآثار المميزة والحضارة بسلاسل بشرية معينة.

علم الآثار والأنثروبولوجيا الثقافية

كون علم الآثار معني بالكشف عن الماضي الثقافي للمجتمعات الإنسانية وهذا الموضوع هو نفسه جزئياً مما تتناوله الأنثروبولوجيا الثقافية في دراستها لثقافة المجتمعات الإنسانية في الماضي والحاضر، وقد نتج عن العلاقة بين العلمين منطلقات بحث مشتركة يمكن تعداد منها

1. التركيز على ما يتكرر في السلوك الإنساني وليس على الحالات الفردية

2. محاولة الكشف عن وجود وحدود ظاهرة الانتشار الثقافي

3. الاهتمام بالعامل البيئي وتأثيره على الثقافة

4. وضع فرضيات وتخمينات لفهم وتفسير الثقافة

الالتقاء بين علم الآثار وفروع الأنثروبولوجيا ينطلق من دراسة علم الآثار للإنسان (من مخلفاته) بوصفه كائناً اجتماعياً، وهنا يتلاقى علم الآثار مع الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وللإنسان سلوك وأساليب حياتية في الماضي والحاضر تتطور بالتلاؤم مع المحيط، يستنتجها ويدرسها علم الآثار، ويتلاقى بذلك مع الأنثروبولوجيا الثقافية، كتب الأثاري البريطاني R. E. Mortimer Wheeler الذي عمل في بريطانيا وأيضاً اشتهرت أعماله الأثرية في الهند 1943 م. يقول " إن الأثاري لا ينقب عن أشياء، إنما ينقب عن شعوب [28] "والإنسان أصلاً كائناً بيولوجياً له مسيرة بيولوجية تتكشف في بقاياها

العضوية ويهتم بها علم الآثار ويتلاقى بذلك مع الأنثروبولوجيا الفيزيائية، أما من ناحية الأساليب فهناك فرع الأنتواركولوجي الوسيط بين العلمين، وأما في المجال النظري فنظريات الثقافة هي نفسها في علمي الآثار والأنثروبولوجيا.

5- الأثنوغرافيا :

وهو علم يدرس خصوصيات الشعوب ويشترك اشتراكا وثيقا مع علة الآثار، فهو يقوم بدراسة الأعراق والمجتمعات والحضارات، ويتناول الأخلاق والعادات والأديان المعاصرة التي تغني علم الآثار بالمعلومات حول آثار الحضارات القديمة. وهو علم تعميمي للثقافة الإنسانية تقوم بدراسة الثقافة المادية للمجتمعات المعاصرة والمجتمعات التقليدية ما قبل الصناعية بهدف إنجاز معرفة أكبر وإعادة تركيب أكثر دقة للماضي عن طريق تفسير تلك المعطيات.

كما أن هناك استخداما للتناظرات الإثنوغرافية في مجال علم الآثار، إذ تجري محاولة لإعادة تركيب نظام العلاقات الاجتماعية التاريخية، والتبادل، وطقوس الدفن والأيدولوجيات من البقايا الأثرية، فإن عالم الآثار يبحث عن متوازيات وتناظرات معقولة وسط المجتمعات التقليدية الحالية في أفريقيا وآسيا وأمريكا أو في المجتمعات الأوروبية التاريخية.

6- الباليونتولوجيا علم المستحاثات paleontology :

أو علم الأحافير (مفردتها أحفورة) هو علم أساسي من العلوم الجيولوجية لا يقل أهمية عن دراسة صخور الأرض ومعادنها وفلزاتها والعوامل المؤثرة فيها. تتألف كلمة paleontology في الأصل من ثلاثة مقاطع يونانية وهي logos و ontos و palaios وتعني ترجمتها علم الكائنات القديمة. يدرس هذا العلم، كما تدلّ هذه الترجمة، الكائنات الحية التي عاشت في الأزمنة الجيولوجية التي سبقت العصر الحالي من خلال دراسة هياكلها وأصدافها وقواقعها وانطباعات أجزائها الرخوة التي انحفظت في الصخور الرسوبية على شكل مستحاثات. fossils.

يتشابه هذا العلم مع علم الأثنولوجيا في نقاط كثيرة وهو يهتم بإعادة تصور الحالة الأثنولوجية القديمة لمجتمع من المجتمعات وكامل مظاهرها الصناعية والثقافية والدينية انطلاقاً من المكتشفات الأثرية.

7- علم النقوش و الكتابات القديمة:

علم الكتابات القديم الباليوغرافيا Paleography وعلم النقوش اليبوغرافيا Epigraphy تلعب دوراً مهماً بالنسبة لعلم الآثار. ويظهر التداخل بين علمي الآثار واللغة واضحاً في كثير من الأعمال الفنية والمعمارية التي تحمل نقوشاً وكتابات كتلك التي تغطي جدران المعابد القديمة أو شواهد القبور والمباني القديمة أي أن هذه المباني الأثرية أثر معماري لا تتفك طلاسمه إلا بقراءة الكتابات المدونة عليه كذلك الحال

بالنسبة لبقية الآثار التي تحمل نقوشا أو كتابات فغالبا ما تفسر هذه الكتابات تاريخ الأثر أو الشخص الذي بناه أو الذي أهده.

ولا يقتصر علم دراسة اللغة على هذه النقوش فقط بل يشمل أيضا علم الكتابات على ورق البردي المعروف اصطلاحا باسم البابينولوجي **Papyrologie** الذي يهتم بجوانب الحياة المختلفة من عقود وقوانين ومراسلات وتسجيلات وغيرها من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وأحيانا أخرى يلقي الضوء على مجالات الفنون والعمارة و غالبا ما كان يعثر على لفائف البردي منفردة في المقابر أو المنازل أو المعبد أو أحيانا كانت تلف بها المومياوات كغلاف مقو لحمايتها وغالبا ما تكون برديات غير ذات فائدة عند استخدامها كلفائف للمومياوات لكنها تبقى مصدرا للمعلومات المهمة للأثريين في وقتنا الحاضر.

هناك وسيلتان لمعرفة الماضي علم الآثار الذي يهتم بالأشياء والأشكال المادية وعلم اللغات الذي يهتم بالنصوص الكتابية الفيلولوجيا **Philologie**، و الاثنان لا غنى عنهما لعالم الآثار فالنصوص تقدم الكثير من المعلومات لشرح الآثار من المقابر والمعابد وتوابيت وتمائيل وأوان فخارية وحجرية بل والحياة القديمة عموما من قوانين وعقود ونظم اجتماعية وسياسية، إن علم اللغات مهم جدا بالنسبة لعالم الآثار وكذلك عالم اللغات لا

يستطيع تفسير أو شرح نصوصه إلا بمساعدة الأشياء الأثرية التي يعثر عليها من المعابد والمقابر والتماثيل وجميع مخلفات الحياة اليومية¹.

وكان لفك رموز بعض الكتابات القديمة التي لم تكن معروفة أكثر الأمور تحولا في تاريخ علم الآثار وشملت الهيروغليفية التي فك رموزها شامبليون، والكتابات المسمارية التي فك رموزها جروتفيندورونلسون، وفك كل من هروزني رموز اللغة الحثية وفنتريسوشادويك رموز الكتابة الشريطية، وأبجدية أوجاريت أول أبجدية في العالم و غيرها².

8- علم الاجتماع:

إن لعلم الاجتماع **Sociologie** علاقة وثيقة مع علم الآثار ودراسة وتحليل المعطيات والبقايا الأثرية، إذ يقوم الأثريون عند دراسة موقع أو منطقة ما بالتعرف على طبيعة المجتمع الذي كان يعين فيه من خلال استخلاص المعلومات والنتائج من دراسة المواد الأثرية المكتشفة في الموقع. فعلى سبيل المثال دراسة طبيعة المباني الموجودة في الموقع ومساحتها تفيد في استنتاج معلومات عن طبيعة الناس الذين يسكنوها، فإذا كان هناك قصور فإن الذين سكنوها الطبقة الحاكمة وكان المجتمع منظما. وإذا كان المبنى المكتشف مبنى فهو دلالة على أن سكان الموقع كانوا يعبدون آلهة أو إلهة محددة وكانوا يمارسون شعائر وطقوس عقائدية تتعلق بديانة معينة.

¹ - حسن، علي: الموجز في علم الآثار، 1993، ص 16.

² - دانيال، غلين: موجز تاريخ علم الآثار، 2000، ص 282.

ومن جهة ثانية فإن المدافن والقبور المكتشفة خلال التنقيبات الأثرية في الموقع تعطي صورة واضحة وكاملة عن شعائر وعادات الدفن السائدة عند المجتمعات التي سكنت الموقع.

9- علم الهندسة المعمارية:

يشمل علم الهندسة المعمارية **Architecture** دراسة تطور العمارة التي شيدها الإنسان أو نحتها في الصخر سواء لاستخدامها في حياته أو بعد مماته، ويهتم بدراسة فن البناء سواء كان مدنيا أو دينيا أو عسكريا بالإضافة إلى تخطيط بناء المدن ¹**Urbanisme**. كما يتناول في دراسته المواد التي استخدمت بالبناء وتركيبها وعناصرها وطرق البناء وكيفية إنجازها و كل ما يتعلق بإنشاء المباني وعمارتها وهو ما يكون في صلب عمل علم الآثار فيما يخص الحضارات القديمة وإنجازاتها الحضارات المعمارية، ودراسة هذه العمارة الأثرية لا يمكن أن تتم بمعزل عن علم الهندسة المعمارية أو حتى بمعزل عن دراسة المشكلات البنائية أو الحضارية لأطلال السكن البشري في الموقع الأثري الذي يحفر فيه.

10- علم الطبوغرافية:

يهتم علم الطبوغرافية **Topographie** بدراسة وضعية و توزيع و أسماء المدن من الناحية اللغوية والتاريخية، والدراسات العملية للمباني بأنواعها وطرزها كافة المدني منها

¹ - حسن، علي: الموجز في علم الآثار، 1993، ص 34.

أو الديني أو الحربي، ودراسة مخططات المدن كافة وتطورها كما يهتم هذا العلم بدراسة جميع المشكلات السكانية في العالم القديم.

11- علم دراسة الأختام :

علم الأختام **Sigillographie** يقوم بدراسة الأختام من ناحية مادتها المصنوعة منها وأشكالها مسطحة كانت أم أسطوانية، وطرزها وطرق استخدامها، وعصرها والأشخاص الذين استخدموها ولأي غاية، فضلا عن الأشكال والرموز والكتابات التي يحتويها الختم ويتشكل منها وصولا إلى ما يمكن أن تقدمه هذه الأختام بما تحتويه من معلومات غاية في الأهمية إلى عالم الآثار.

12- علم النقود:

علم النقود أو المسكوكات القديمة **Numismatique** ويسمى أيضا علم النمياتيقوم بدراسة النقود القديمة وعملية سكها و إنتاجها. إذ تدرس المادة التي تصنع منها وتركيبها المعدني أو الخليط من ذهب و فضة و نحاس (دنانير و دراهم و فلوس)، وشكل النقود وما تحتويه من نقوش وكتابات وأوزانها، ومكان إنتاجها أي الورش التي سكتها والسلطة التي تمثلها من حكام وملوك وقادة عسكريين أو المدن والولايات والإمبراطوريات، والتواريخ أو الحقب الزمنية التي مثلتها والمناطق الجغرافية التي انتشرت فيها علاقات التبادل التجاري بين شعوب العالم القديم.

وهو علم يختص بشعبة أساسية من شعب الدراسات الأثرية لما تحتويه هذه المسكوكات من معلومات مهمة ليس فقط فيما يتعلق بالوقوف على فقر الدولة أو غناها عن طريق معرفة مكونات عملاتها ونسب هذه المكونات فيها، وإنما فيما يتعلق بمذهبها وأسماء حكامها وخلفائها وأمرائها وتبعية بعض هؤلاء لبعض إلى غير ذلك من المعلومات التي يقدمها علم النقود لعلم الآثار.

كل ذلك يخدم علم الآثار في درابته للحضارات القديمة ويساعد علم النقود الآن الذي يشكل أحد المصادر التاريخية المهمة في بناء سلسلة تاريخية وزمنية لمدن وممالك وحضارات قديمة، وفهم أوسع العلاقات والتبادلات التجارية القديمة بين الشعوب وغير ذلك من المعلومات التي يقدمها علم النقود لعلم الآثار وذلك منذ ظهور المسكوكات الأولى في التاريخ في القرن السابع ق.م¹

13- علم الأوزان و المقاييس:

يسمى علم المترولوجيا **Métrologie** يهتم بدراسة الأوزان **Weights** والمقاييس **Measures** ويرتبط به علم النميات ارتباطا وثيقا من ناحية أوزان العملات وحجم المكاييل ومقايير الخلطات المعدنية، وهذه الأوزان والمكاييل لها أهمية كبيرة في علم الآثار لأن علم المسكوكات والمكاييل ومقاييرها تعتمد بشكل أساسي على هذا العلم.

¹ - للمزيد أنظر:

سلهب، زياد و كيوان خالد: المسكوكات القديمة، جامعة دمشق، 2014.

14- علم دراسة فن الرسم :

يدرس هذا العلم **Fresco-Painting** فنون الرسم والتصوير القديمة على الجدران الملونة من حيث الطرز وتقنيات ومراحل تطور والموضوعات المصورة.

إن التسجيل صفة ملازمة للحضارة البشرية منذ القدم، وهو ظاهرة معروفة حتى في المجتمعات التي سبقت الكتابة والرسم على جدران الكهوف ليس إلا شكلا من أشكال تسجيل النشاطات اليومية وثبيتها في صور، ولا يختلف الأمر مع وجود الكتابة المرتبطة باللغة، فالتسجيل في هذه المرحلة يخدم الهدف ذاته مع استبدال الصور والرموز بالكلمات، ولا يمكن فصل هذه الممارسات عن تطور الوعي البشري، فإلى جانب الأغراض العملية يعبر الإنسان بالصور والأشكال الفنون الجميلة والكلمات (الفلسفة والأدب) عن تأمله بحياته ومحيطه الاجتماعي والطبيعي والتسجيل يعني للبيت الأشياء للمستقبل، هذه الرغبة الجامحة في التسجيل (الرسم، الحفر، الكتابة) تبدأ من الصغر فما أن يتعرف الطفل على الكتابة حتى يبدأ بخط اسمه على الورق، أو يرسمه على جدار أو يحفره على صخرة أو على جذع شجرة عتيقة، وكذلك عندما توضع في يده الأقلام الملونة يبدأ برسم البيت والأم والشجرة والوردة والنهر وما يراه حوله في بيئته من علامات مميزة تنطوي على دلالات خاصة بالنسبة له، هكذا بدأ الإنسان مسيرته الحضارية في عصور ما قبل التاريخ، وها هي النقوش والكتابات تقاوم عوامل الزمن وتبقى حتى اليوم وكأن الرغبة بحفظ هذه النقوش قد تحققت ولكن أبعد بكثير مما كان يتصور كاتبوها

و السبب في حفظ هذه النقوش هو استخدام الكاتب قديما للحجر أو الفخار أو المعدن ليضع عليها نقوشه وكتاباته. والحفر بأداة حادة على الأحجار والصخور يحتم ظهور أشكال مختلفة من الحروف، وهو ما تعكسه مهارة أصحاب النقوش ومدى طواعية المادة الموجودة تحت تصرفهم. وهذا ما استدعى دراسة أشكال الحروف حسب الفترات الزمنية واللغات والأقاليم والكتاب، ويرتبط الموضوع بشكل وثيق بظهور الأبجدية وتطورها، وإن كانت الأبجدية المسمارية كما عرفت في راس شمرا (أوغاريت) شمال سوريا قد سبقت الأبجدية الفينيقية. في الغرب أكتشف أول نقش أبجدي بالأرامية واليونانية في روما في بداية القرن السابع عشر بالقرب من بوابة كان في موضعها معبد مخصص للجنود الرومان من أصل تدمري. ومنذ ذلك الحين تطور موضوع النقوش ليصبح حقلًا مستقلًا يعالج فيه عدد من لغات الأصل الثلاثي، أي ما يعرف باسم باللغات السامية، والتي تعتبر العربية أهمها على الإطلاق. الأكديّة هي إحدى هذه اللغات ولكنها تخرج نوعًا ما عن إطار حقل دراسات النقوش لأنها كتبت على ألواح أو رقم طينية وبالخط المسماري المقطعي، خلافاً للنقوش التي كتبت بالأحرف الأبجدية

15- الفنون الجميلة:

فن النحت: وهو فن إعادة تكوين القطع الأثرية القديمة باستخدام مواد صلبة للنحت مثل الحجر والرخام والبرونز وغيرها بشكل تماثيل أو منحوتات أو زخارف نافرة وغائرة. و له دور مهم في عمل نسخ عن المنحوتات الأثرية القديمة لغايات العرض في المتاحف وإعادة بناء بعض أجزاء المباني الأثرية وترميمها.

الفن التشكيلي: هو فن القولية (يسمى أيضا فن البلاستيك) باستخدام مواد ذات طبيعة لينة أو رخوة مثل الشمع أو الفخار¹ وغيرها في تكون وإنشاء قطع أثرية فنية كالأدوات والأواني وصنع مجسمات لأدوات أو قطع أو أبنية أو هيكل عظمي تخدم علم الآثار والمتاحف.

فن الحفر على الأحجار الكريمة: ويعتمد على حفر وإعادة تشكيل الحجارة الكريمة الدقيقة بالحفر الغائر أو البارز وحاليا تتم هذه العملية بمساعدة الحفر بالليزر.

فن الرسم: يعد الرسم الأداة الفعالة والشائعة التي يلجأ إليها المنقب الأثري وهي ذات أشكال متباينة ومتنوعة من رسم الخرائط الطبوغرافية ورسم القطاعات والمربعات والرسم المعماري ورسم اللقى الأثرية وكرسم الأدوات الصوانية والنقوش الصخرية والفخار وتفاصيل الزخارف والنقوش والكتابات وغيرها².

¹ حسن، علي: الموجز في علم الآثار، 1993، ص 35.

² الفخراني، فوزي عبد الرحمن : 1992، ص 386.

الفصل الثالث: منهجية التأريخ في علم الآثار

أولاً- عوامل اختفاء الحضارات القديمة وكيفية تشكل المواقع الأثرية:

تنقسم عوامل اختفاء الحضارات المختلفة وما يخصها من مباني والمواقع والمدن القديمة إلى عوامل طبيعية وأخرى بشرية، وقد يجتمع أكثر من عامل معا في اختفائها وقد يختفي الموقع فجأة أو على عدة مراحل متتالية وذلك تبعا للعامل الأساس في اختفاء الموقع. ولهذا السبب يجب على الأثريين والمنقبين أن يكونوا ملمين بطبيعة الأرض التي يعملون بها وأن تكون لديهم المعلومات التاريخية عن المواقع الأثرية ومتفهمين لعوامل اختفائها واندثارها.

أ- العوامل الطبيعية:

تلعب العوامل الطبيعية الدور الأكبر في اندثارها المواقع الأثرية واختفائها، والفيضانات والبراكين والزلازل والأعاصير والرياح والزوابع المحملة بالرمال التي تترسب وتتراكم فوق المعالم الأثرية إلى أن تغطيها بشكل كامل أو جزئي.

كما أن فيضان الأنهار يشكل خطرا كبيرا جدا على المدن والقرى التي أقيمت على ضفافها، وقد يتغير مجراها فتغمر مياهها المدن التي أمامها، وتهجر المدن التي كانت مقامة على ضفافها في المجرى الأول، والحالة نفسها بالنسبة للمدن والقرى التي

تقام على شواطئ البحار التي قد يرتفع مستوى مياهها بسبب المد والجزر والأعاصير والزلازل والبراكين والتغيرات المناخية، فتغرق المدن الساحلية والجزر البحرية.

1- الزلازل و البراكين:

تأتي الزلازل والبراكين على رأس العوامل التي تؤدي إلى اختفاء المدن والمباني وبالتالي إلى تكون المواقع الأثرية فمن المعروف أن الزلازل والبراكين تحدث نتيجة للحركة الظاهرية في القشرة الأرضية، فسبب الغليان والانصهار داخل باطن الأرض تضغط الغازات على القشرة الأرضية فتتفد من أضعاف أجزاء القشرة الأرضية فتتشر الغازات السامة وتتطاير الحمم البركانية وتغطي المواقع القريبة وأصدق نموذج على هذا عندما ثار بركان فيزوف القائم بالقرب من مدينة نابولي جنوب إيطاليا عام 79م فغطى المدينتين الرومانيتين بومبي وهيركولانيوم بالكامل وطمرهما بعد أن أودى بحياة سكانهما بعد أن ظل يضربهما بوابل من الحمم ثمانية أيام متواصلة، عطلت جميع مبانيها بالكامل ثم سالت عليهما سيول من الطفلة البركانية الممزوجة بالرماد وارتفعت المياه الجوفية على أرضهما حتى نبت عليهما العشب لتبدوا و كأنهما لا وجود لهما أصلاً¹.

وتبقى الزلازل أكثر عنفا ودمارا للمدن والقرى من البراكين خاصة إذا زادت درجة قوتها على ست درجات بمقياس رختر، حيث تكون الهزة عنيفة وتؤدي إلى تصدع المباني وتهاويها وغالبا ما تغطي الأنقاض الأحياء من الإنسان والحيوان وتكون نهايتها المحتومة

¹ - أدكيرز، لسلي وروي: مدخل على علم الآثار، ترجمة همام زينة، وزارة الثقافة، دمشق، 2010، ص 36.

بين الأنقاض. وعند ترض المباني المعمارية للزلازل فإنها تتعرض لحركات فجائية غير منتظمة وتتميز بتغيير معدلاتها وشدتها عدة مرات في الثانية الواحدة ما يؤدي إلى تعرض الكثير من العناصر المعمارية إلى الانفصال عن بعضها أو تصدعها كلياً أو جزئياً، وتشكل التأثيرات الأفقية للاهتزازات الأرضية خطورة بالغة على المباني لأنها لا تستطيع تحملها وتؤدي إلى تشققها وانفصالها عن التربة التي أقيمت فوقها وبالتالي انهيارها بشكل كامل¹.

ولعل ما شهدته كل من مصر وتركيا وإيران من التأثيرات العنيفة للزلازل وما تحدثه من دمار خير برهان على ما يحيق بالمدن من دمار كبير، فعندما ضرب زلزال مدينة مصر عام 1992م تأثر وتصدع وتهاوى العديد من المنازل والمباني خاصة القديم منها، وعندما ضرب زلزال دولة تركيا عام 1999م تأثرت وتصدعت من جرائه أكر من 156 مبنى وموقعا أثريا.

ورغم تكنولوجيا الإنقاذ المتقدمة ومساعدات الكثير من الدول إلا أن كثيرا من المباني لحق بها الدمار ومات الآلاف من البشر ومن هنا يمكننا أن نتخيل حجم الضرر الذي كان يلحقه زلزال ست درجات بمقياس رختر في العصر القديم. ومثال على هذا الضرر الكبير تشكل التصدعات المؤثرة على مجموعة المباني الرومانية والبيزنطية بمنطقة كوم الدكة بالإسكندرية إذ إن التصدعات الموجودة بالجدران السمكية في مباني

¹ - محمد، عبد الهادي محمد: دراسات علمية في ترميم و صيانة الآثار العبر عضوية، 1997، ص 256.

خزانات المياه والحمامات والمدرج تظهر مدى قوة الزلزال المدمر الذي ضرب الإسكندرية عام 535م، كما أن هناك زلزالاً آخر ضرب المدينة في القرن الحادي عشر ميلادي كان له تأثيره المدمر على منارة الإسكندرية وأن زلزال القرن الرابع عشر قد أتى على البقية الباقية منه.

2- الطغيان و انحسار البحر:

قد تحدث تغيرات ظاهرية في القشرة الأرضية ينتج عنها انخفاض في مستوى أراضي السهول الساحلية مما يؤدي إلى طغيان مياه البحر على المباني القائمة على الساحل أو القريبة منه، ويظهر هذا بوضوح في منطقة الميناء الشرقي بالإسكندرية القديمة التي أسسها الفراعنة عند جزيرة فاروس كما اختفت جزيرة الماس التي كانت قائمة عند مدخل الميناء الشرقي التي تحدث عنها.

وهناك ظواهر طبيعية أخرى يمكن أن تؤدي إلى انطمار الموقع مثل العواصف الرملية والانهيارات الأرضية نحو انهيارات الصخور والتربة. ففي المناطق الصحراوية تختفي القرى والمدن القديمة تحت الرمال الناتجة عن العواصف الرملية إذ إن تمثال أبو الهول الشهير في مصر كان مدفوناً تحت الرمال في القرن الخامس قبل الميلاد فلم يأت هيرودوت على ذكره حينما زار مصر وكذلك التماثيل الصغيرة لأبي الهول التي كانت تزين الطريق إلى معبد الكرنك قد اختفى تماماً رغم عدداً كبيراً بفعل الرياح المحملة بالرمال حتى مجيء العالم الأثري أوجست مارييت وشاهد رأس أحدها تبرز من تحت

الرمال فقام بالتنقيب وأزاح الرمال عن 141 تمثال لأبي الهول وقواعد لتمائيل أخرى تمتد على طول طريق طوله 600 قدم تقريبا، وكذلك الأمر عندما ظهرت أعمدة مدفونة في التراب فتم كشف عن مدينة جرش الأثرية في شمال الأردن. أما في المناطق المطيرة فتكون سرعة وكثافة نمو النباتات سببا في اختفاء المباني والحضارات العمرانية وتكون سببا في خرابها وتدميرها في أحيان أخرى¹.

ب- العوامل البشرية:

إن أثر العوامل البشرية لا يقل خطورة عن أثر العوامل الطبيعية في خراب المدن واندثار معالمها واختفائها، ففي الكثير من الأحيان يلجأ الإنسان إلى بقايا المباني القديمة فيقتلع أحجارها وأعمدتها ليعيد استعمالها في بناء مبان جديدة، وفي أحيان أخرى يتم اختيار مواقع المدن القديمة ليشيد فوقها مباني المدن الجديدة، وقد حدث هذا كثيرا في المواقع التاريخية و عبر تاريخ البشرية، فموقع مدينة طروادة الأثري عثر فيه على أنقاض تسع مدن متراكبة فوق بعضها البعض وكذلك الحال في بقية معظم مواقع ومدن الشرق القديم.

والأمر نفسه في بعض المدن في الأزمنة اللاحقة ومثال ذلك مدينة بصرى الشام إذ تعاقب على المدينة عدة حضارات تم خلالها إعادة استخدام المباني وحجارتها في نفس المكان، فعندما كان يأتي سكان جدد للمدينة يتم استخدام المواد المتوفرة في

¹ - الفخراني، فوزي عبد الرحمن: 1993، ص31.

الموقع من خلال بقايا المباني القديمة من حجارة وغيرها لتوفير الوقت والجهد في صناعة حجارة البناء من المقالع الحجرية ولسرعة تنفيذ البناء، وأحيانا أخرى تم استخدام نفس البناء القديم مع إجراء الترميمات والتعديلات عليه وفي هذه الحالة نجدها بشكل خاص خلال المرحلة الإسلامية في المدينة. فقد تم تهديم المباني الرومانية والبيزنطية واستخدام حجارتها في بناء أبراج القلعة وخاصة في المرحلة الرومانية حتى يذكر أحد المؤرخين أن البرج الغربي من القلعة لم يستغرق من الوقت إلا تسعة أشهر بسبب توفر حجارة البناء التي جلبت من الأبنية القديمة في المدينة، ونلاحظ الأمر نفسه في مساجد المدينة حتى إننا نجد الأعمدة الرومانية والبيزنطية استخدمت في بنائها سواء كانت كأعمدة أم وضعت في الجدران و الأسطح بعض الحجارة في جدران المساجد والقلعة تحمل نقوشا لكتابات لاتينية قديمة.

كما أن الإنسان يلجأ أحيانا إلى إعادة بناء بعض المعالم الدينية كالمعابد والكنائس والمساجد وتجديدها لقداسة موقعها، كجامع القيروان الذي جدد في عهد الأغالبة بشكل كلي ما عدى المحراب الذي احتفظ به و اكتفي بتليسه بالألواح الرخامية والخزفية، تيمنا بالصحابي الفاتح عقبة بن نافع الفهري.

1- العوامل الاقتصادية:

لقد دأب الإنسان منذ القدم على اختيار مواقع للاستقرار وبناء المدن فيها، لما توفره له من موارد طبيعية مختلفة تساعده على نمو اقتصاده وتطويره، غير أنه قد تتغير الظروف وتتقطع الموارد فيهجر الإنسان المكان ويرحل إلى مكان آخر، فقد تبنى المدينة على ضفاف نهر ثم يغير النهر مجراه فيؤثر سلبا على اقتصاد المدينة ويدفع أهلها لهجرها، أو تكون محطة على طرق تجارية رئيسية ثم تغيرت هذه الطرق، وقد ينتشر فيها وباء خطير أو يصيبها الجفاف والقحط فتنتشر المجاعة والفقر، ومن ثم يضطر أهلها إلى الرحيل عنها للبحث عن الرزق في أماكن أخرى.

2- العوامل السياسية:

للعوامل السياسية دور كبير في خراب المدن واندثارها نتيجة الحروب، فكثيرا ما يتحصن الإنسان داخل أسوار مدنه وقلاعها وحصونها، فيضطر المهاجم إلى درب الأسوار ودكها وقد يهدمها ويحرقها بعد فتحها، ويقتل أهلها ويجلبهم عنها ويترك مدنهم المدمرة عرضة لعوامل طبيعية تدرس أطلالها، كما حدث في قرطاج بتونس حينما دمرها الرومان، والأخيليون اليونانيون بمدينة طروادة، ودمر شعوب البحر مدن كثيرة مثال أوجاريت، ودمر الإمبراطور تراجان مدينة تدمر.

وأحيانا يبني الحكام مدينة ويتخذونها عاصمة بدل العاصمة الأولى التي كانت مزدهرة في العمران، فيهجروا الناس إلى العاصمة الجديدة، كما حدث لقلعة بني حماد لما

بُنيت مدينة بجاية الناصرية، وانتقال الأمراء الحماديين إليها، فخربت القلعة وهجرها أهلها، بينما عمرت بجاية وزاد ساكنوها.

وأحيانا أخرى يقوم الناس بدفن كنوزهم حماية لها من الأعداد لتكون في أمان من النهب والسرقة والتدمير كما فعل سكان مدينة أثينا في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد وقت الهجوم الفارسي على المدينة إذ دفن أهل أثينالتمثيل اليونانية القديمة التي ترجع إلى العصر العتيق في إكربول المدينة لحمايتها وبقي قسم كبير من هذه المدينة مدفونة حتى كشف عنها حديثاً¹. وكذلك الأمر بالنسبة إلى المدافن في الحضارات القديمة مثل مدافن وادي الملوك في مصر إذ كانت تتم بسرية وتموه لكي لا يتم كشفها ونهبها وخير مثال عليها مقبرة توت عنخ آمون التي كشفت في عصرنا الحالي ودخلت لأول مرة منذ إنشائها، ولذلك كانت مكتشفاتها مميزة ونادرة.

2-أنواع المواقع الأثرية:

الموقع الأثري مكان يعثر فيه على مخلفات وبقايا النشاط البشري الاستيطاني خلال العصور القديمة، والموقع الأثري يمكن أن يوجد على سطح الأرض أو تحتها وفي أعماق المياه والملاجئ الصخرية والمغاور، وتختلف المواقع من حيث الشكل والحجم. والموقع الأثري مصدر أثري سريع التلف وليس متجدداً، ومهدد بالخراب

¹ - الفخراي، فوزي عبد الرحمن: 1993، ص 37.

والدمار في كل لحظة لحظة تهيأ فيها الأرض أو التربة، كما أن الدراسة الخاصة بالموقع الأثري شهادة بحث أثرية تسمح بفهم تاريخ أسلافنا.

ويمكن أن نشبه كل موقع أثري بكتاب، طبقاته صفحات مكتوبة تنقل لنا قطعا من التاريخ وأما المخلفات الأثرية والمواد واللقى الطبيعية والصناعية فهي الكلمات التي تكتظ بها هذه الصفحات. وهو منجم مليء بالمعلومات ولكن عملية استخراج هذه المعلومات تؤدي إلى اقتلاع صفحات الكتاب بل تدمير محتوياته، لذا يجب عند قراءة هذا الكتاب عدم فقدان أية معلومة من المعلومات التي كانت مدفونة لمئات أو آلاف السنين¹.

ولكل موقع أثري مزاياه الخاصة التي يتميز بها من بقية المواقع الأخرى، وتختلف المواقع الطبيعية باختلاف طبيعتها والحضارات التي يرجع إليها وتاريخها حسب البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي إلى يختلف من إقليم إلى آخر ومن دولة إلى أخرى.

وتختلف المواقع الأثرية من حيث الشكل والمساحة ولكنها تشكل جميعا بأنها تضم بقايا أثرية أكانت قطعا مصنعة أو مباني ولقد صنف بعض الباحثين والأثريين المواقع الأثرية بأشكال مختلفة، فمنهم من صنفها حسب أشكال الأدوات المتواجدة في الموقع وهي على الأغلب أدوات حجرية و صوانية مثل مواقع المناقش في البادية،

¹ - غالان، مارتين يودريغو، مناهج البحث الأثري و مشكلاته، ترجمة خالد غنيم، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلان، 1998، ص 85.

ومنهم من عد المرحلة التاريخية هي التي تميز المواقع مثل العصور الحجرية أو البرونزية وغيرها.

وعند التساؤل عن سبب اختيار القدماء لتلك المواقع من دون غيرها فإن الإجابة على هذا التساؤل تتركز بتوفر مصادر المياه الدائمة والأرض الخصبة الصالحة للزراعة والمناخ الملائم وإمكانية الدفاع عنه وسهولة الوصول إليه ووقوعه في مراكز مهمة وعلى الطريق التجارية، كل هذه الأمور تلعب دورا مهما ورئيسيا في اختيار الإنسان لمواقع سكنه و إقامته. ويمكن تصنيف المواقع الأثرية على النحو التالي:

أ- التلال الأثرية:

تعد مواقع التلال الأثرية ذات الارتفاعات المختلفة التي تشكلت فوق سطح الأرض أكثر المواقع انتشارا ولاسيما في المشرق الأدنى. وتضم المكان الذي اختاره القدماء بمعيشتهم ومزاولة نشاطاتهم المختلفة، وفي أغلب الأحيان يكون الاستيطان فيها متعاقبا لعصور عديد بسبب خصوبة التربة في الموقع ووجود مصدر مائي وسهولة اتصاله بالأماكن الأخرى إذا كان على طريق المواصلات وللمحافظة الشديدة التي تجعل السكان الشرقيين يتعلقون بمكان سبق أن سكنه أجدادهم وإذا خرجوا منه فغالبا ما يعودون إليه.

إن الفيضانات والأنهار والأمطار الشديدة والغزوات العسكرية أو الغارات المحلية بنطاقها الضيق من جملة الأسباب المؤدية إلى تكرار عمليات التخريب وإعادة البناء إذ

تسقط الجدران أو تسقط أجزاء منها على الأرض وتملأ الغرف بالأنقاض إلى ما يقارب ثلث ارتفاعها وقبل البدء بعملية إعادة البناء يسوى المكان بصورة منتظمة ثم تتخذ مخلفات الجدران القديمة أساسا لجدران جديدة وهكذا بمرور الزمن نجد القرية أو المدينة نفسها قائمة على قمم الرابي المرتفعة. وكانت القرى أو المدن القديمة تتعرض للفيضانات أو العواصف الشديدة أو الحروب فتتحول بعدها إلى أكوام من الأنقاض وعندما رجع إليها سكانها الأصليون أو مهاجرون جدد يقيم هؤلاء بيوتهم فوق تلك الأنقاض مستفيدين مما يتوفر في المكان من أسباب تيسر المعيشة وهكذا تراكمت القرى والمدن فوق بعضها إلى أن هجرها أهلها نهائيا وأصبحت أطلال دراسة تجمعن عليها الرمال وظلت كذلك حتى اكتشفها الباحثون عن الآثار¹.

ترتفع هذه التلال الأثرية على سطح الأرض المحيطة بعدة أمتار وتختلف أبعاد أقطارها حسب طبيعة السكنى فيها مستوطنة أو قرية أو مدينة أو عاصمة لمملكة. وتتميز التلال بلون تربتها الداكنة والمختلفة عن التربة المجاورة لها وعناها سطحها باللقى المختلفة والسر الفخارية. وتتميز مواقع المدن بمختلف مبانيها الكثيرة والضخمة كاليوت والمعابد والقصور وغيرها، وتعد العمارة والفنون والكتابة التي تركها لنا إنسان تلك المرحلة مدخلا مهما لمعرفة طبيعة حياتهم و تفاصيلها.

¹ - الدباغ، طرق التنقيبات الأثرية، جامعة بغداد، 1983، ص 64.

ب- المستعمرات البشرية:

وهو النوع الأكثر شيوعاً بين المواقع الأثرية وذلك لأنها تمثل الأماكن التي أقام بها الإنسان ومارس على أرضها مجموعة من النشاطات وتختلف مدة الإقامة في المواقع حسب المرحلة وطبيعة الحياة التي عاش بها الإنسان. وهذه المواقع الاستيطانية مثل مواقع الصيد والالتقاط في عصور ما قبل التاريخ تطورت مع مرور الزمن لتصبح قرى ثم مدن ثم فيما بعد في العصور التاريخية الكلاسيكية ظهرت القلاع والحصون.

ت- مواقع التقصيب:

يعود تاريخ هذه المواقع الأثرية إلى فترة عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت مجموعات الصيادين والجامعين لإنسان العصور الحجرية القديمة تقوم بمطاردة الحيوانات الكبيرة لاصطيادها وهذا كان يستدعي الإقامة لعدة أيام بجانب الفريسة حتى يتم تقصيبها وتوزيعها، وربما قام بعضهم بتجفيفها لأكلها فيما بعد وهذه العملية كانت تتطلب إقامة الإنسان بجانب الفريسة ولحمها لعدة أيام حتى الانتهاء منها.

ث- مواقع القمامة:

وتتواجد هذه المواقع الأثرية على شواطئ البحار والبحيرات والأنهار حيث يوجد قواقع والأصداف البحرية بشكل خاص، وتتشكل هذه المواقع بسبب إلقاء الفضلات في نفس المكان لفترة طويلة ويرغب الإنسان في السكن المؤقت بالقرب منها للاستفادة منها.

كما يمكن أن توجد بالقرب من مراكز المدن والقرى ومراكز التصنيع وورشات العمل حيث يتم رمي الفضلات وبقايا التصنيع في الورشات والتالف منها في مكان إلقاء النفايات مثل ورش تصنيع الفخار وغيرها.

ج-المدافن و المقابر:

تشمل المدافن مختلف من القبور وتوجد أحيانا داخل القرى والمدن أحيانا أخرى خارجها، وتتميز بالمباني الظاهرة على سطح الأرض مثل الأبراج والقباب والمصاطب والأهرامات وشواهد قبور، وفي أحيانا أخرى لا يمكن تمييزها أول العثور عليها لأنها مخفية تحت سطح الأرض.

تعد مواقع الدفن والمقابر من أغنى الأماكن بالقطع الأثرية وخاصة في المجتمعات البشرية التي تؤمن بحياة ما بعد الموت كالحضارة الفرعونية في مصر. وتتميز المدائن الملكية عن غيرها بغنى الموجودات وفخامة العمارة، وهذه المدافن تشكل مصدر هام جدا للمعلومات حول العقائد الجنائزية والطقوس الديني وعادات الدفن لدى مجتمعات الحضارات القديمة.

ح- مراكز الفنون:

تتمثل هذه المواقع بالمغاور و الملاجئ و الكتل الصخرية الأخرى لإنسان عصور ما قبل التاريخ التي اتخذها مسكنا له، وخلف فيها شواهد مادية مثل الدمى الطينية

والحجرية والبشرية والحيوانية مثل دمي المرأة العارية التي تمثل الربة الأم ودمى الثور، فضلا عن الرسوم الجدارية المتنوعة على جدران الكهوف وأسطح الصخور بالتلوين أو بالحفر للدلالة على معتقداته وحياته، مثل موقع الميسري وسد الوحدة في درعا.

خ- الملتقطات السطحية:

وتتكون هذه المواقع من اللقى والآثار التي تتواجد على سطح الأرض من دون أن يكون لها علاقة مع أي بقايا أثرية أخرى مثل العمارة وغيرها، وأغلب هذه اللقى تتألف من الأدوات الحجرية. ومن الأمثلة على هذا النوع من المواقع التي تعرف باسم مواقع المناقش المنتشرة في البادية السورية بشكل رئيسي، ولا تعد وجود الأدوات الصوانية إشارة إلى الاستيطان الدائم في المنطقة إنما تدل على وجود نشاط إنساني فيها إذ قام فقط بتصنيع الأدوات الحجرية الصوانية في أماكن تواجد المادة الخام الصوان ولم يبق فيها.

د- القلاع و الحصون:

تتواجد في أغلب الحالات على الحدود بين الدول والبلدان وتتميز بأبنيتها بالضخمة ووجود الأسوار العالية والخنادق والأبراج المنيعة لأنها بنيت لأغراض عسكرية دفاعية،مثل قلعة البتراء التي بناها الحوريون واستقر فيها فيما بعد الأنباط في نهاية القرن الثاني ق.م وبمرور الزمن أصبحت البتراء المدينة الرئيسية على طريق القوافل بين الشام والحجاز ثم اضمحلت أهميتها التجارية وانتقلت هذه الأهمية إلى تدمر.

وبنى السلوقيون زمن سلوقس الأول سنة 300 ق.م قلعة حصينة في دورا أوروبس وتطورت من غرض عسكري إلى مركز تجاري استعملها الرومان لحماية حدودهم وتحولت إلى أطلال دراسة إلى أن بدأت فيها الحفريات الأثرية في القرن العشرين.

وبنى البارثيون في مدينة الحضر قلعة حصينة ليحمون بها حدود إمبراطوريتهم المجاورة للإمبراطوريات الرومانية واشتهرت الحضر بمنعة أسوارها ومثانة تحصيناتها إذ كان يحيط بها سور خارجي بني باللبن بلغ قطرة 3 كم يليه بعد ساحة مكشوفة سور رئيسي ضخم بني بالحجارة المتهدمة وبنيت في هذا السور أبراج مستطيلة وأحيط بخندق عرضة 25 قدماً، و شيد العرب على حدود دولتهم الواسعة الكثير من الحصون والقلاع التي استخدمت لأغراض عسكرية وأخرى دينية¹.

ذ - الكهوف و الملاجئ الصخرية:

توجد عادة الكهوف والملاجئ الصخرية في المناطق الجبلية وقام الإنسان وخاصة في عصور ما قبل التاريخ باتخاذ مساكن للاحتباء بها من الحيوانات المفترسة وقسوة البيئة الطبيعية في تلك العصور ومارس فيها جميع نشاطاته الحياتية، لذلك نجد فيها جميع الدلائل على معيشته من هياكل عظمية بشرية وحيوانات وبقايا نباتية وأدواته الحجرية والعظمية ورسوماته على الجدران الداخلية والصخور المحيطة في المنطقة وغير

¹ - حيدر، كامل: منهج البحث الأثري و التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص 21.

ذلك، فضلا على أن هذا الكهف تم سكنه على مر العصور فتتواجد السويات والطبقات الأثرية المتعاقبة الدالة على سكنى الكهف عبر الزمن.

ر - النصب التذكارية:

وهي العلامات التي أقامها الملوك والقادة والحكام لتسجيل أعمال تخلدهم مثل الانتصار في الحروب في مكان بعيد عن الموقع نفسه، مثل حجرة بهستون الواقعة على قمة جبل بين كرمنشاها وهمدان وقد اختار دارا هذا المكان لتدوين أعماله الحربية وقد سجلت أعماله بالخط المسماري الإخمينيوالعيلامي و البابلي. و كذلك فعل سنفرع أول ملوك السلالة الرابعة في مصر عندما أرسل حملة عسكرية إلى سيناء سجل أخبارها على منحوتة صخرية هناك. ويذكر شلمنصر الثالث انتصر بحملة عسكرية على منابع نهر الدجلة وأقام تمثاله الملكي في ذلك المكان. ويوجد الكثير من النصب التذكارية والمسلات التي تقام في الموقع الأثري ولا تقون موقعا أثريا بذاته¹.

ز - شرفات الأنهار:

تعد شرفات الأنهار مجاري المياه التي بنى الإنسان مستوطناته بالقرب منها، وكما هو معروف فإن الإنسان سكن بالقرب منها، وكانت الأنهار تعمق مجراها مع مرور الزمن، وكلما عمق النهر مجراه ضاق الوادي وانحسرت المياه على الجانبين في الوادي الضيق وانخفضت السهول الفيضية المحيطة به وقل امتدادها وكان الإنسان يتبع مياه

¹ - الدباغ، تقى: 1983، ص 67.

الأنهار لىبقى قريبا منها تاركا وراءه مخلفاته في مستوطناته القديمة، وهكذا توجد أقدم الآثار بعيدة عن المجرى الحديث للنهر وعلى منسوب أكثر ارتفاعا من منسوب واديه الحالي مثل شرفات النيل¹.

¹ - حيدر كامل: 1995، ص 20.

الفصل الرابع: المقاربة الحفرية والتنقيب الأثري

ثالثا- مناهج التنقيب الأثري:

يطلق مصطلح التنقيب الأثري على أعمال الحفر التي يقوم بها علماء الآثار في الحقل الأثري لاستخراج التحف واللقى والبقايا الأثرية المدفونة تحت الأرض، وتتم هذه الأعمال بطريقة منتظمة وممنهجة تختلف عن أي أعمال حفر أخرى، وهي الأسلوب والمنهج العلمي للبحث عن الآثار، بهدف استخراج واستخلاص الأثر من باطن الأرض، وتسجيل أوصافها وأشكالها والمحافظة عليها وترميمها لاستنباط التاريخ منها، والقاء أضواء جديدة على الحضارة الإنسانية الماضية وتطورها، باعتبارها شاهدا ماديا لها.

وانطلاقا من هذا التعريف يتضح الفرق الشاسع بين أعمال الحفر التي يقوم بها الحفر الذي يبحث عن الكنوز في باطن الأرض، وبين العالم الأثري الذي يعتمد على أسلوب علمي في حفره، فهو فضل عن استمتاعه بالعثور على الأشياء النادرة الجميلة، فإنه يريد أن يعرف كل شيء عما يعثر عليه، ثم انه في جميع الحالات يفضل الحصول على المعرفة أهم من حصوله على الأشياء الثمينة التي يعثر عليها.

يعد التنقيب الأثري والمنهجي المنظم الوسيلة المثلى للحصول على المعلومات والوثائق الأثرية، وهذا العلم ما زال يتطور مع تطور الإبداعات والمعارف العلمية والتقنية، وتختلف طرق التنقيب وتقنياته حسب طبيعة الموقع الأثري وعصره وحسب الإمكانيات المتاحة للعمل الأثري، وتتم عملية التنقيب الأثري المنهجي بمراحل متعددة.

1- مرحلة اختيار و تحديد الموقع الأثري:

لقد شهدت المدة الأخيرة من هذا القرن تقدما سريعا في مجالات علم الطبيعة واستحداث أجهزة الكشف بالموجات فوق الصوتية والتطور السريع في مجال الحاسبات الآلية والاتصالات التي أمكن تسخيرها في مجال تحديد المواقع الأثرية ولاسيما تلك التي يصعب الاهتداء إليها في المناطق النائية أو تلك التي يتعذر تحديد موقعها لاختفائها داخل المدن ضمن حركة هجر وإعادة عمران.

ويتم الاختيار وفق برنامج علمي واستخدام طرق الكشف والتحديد الحديثة كاستخدام طرق المسح الكهربائي والرنين المغناطيسي والاستشعار عن بعد، ويبدأ الإعداد العلمي قبل الشروع في اجراء الحفائر وذلك بتجميع المعلومات اللازمة عن الموقع المزمع التنقيب فيه، ومعاينة المواقع على الطبيعة، والحصول على صورة جوية أو صور أقمار صناعية للموقع فضلا عن دراسة تاريخ البلد ولغة أهله، وجغرافية المكان وكل التقارير السابقة إذ كان قد سبق العمل في هذا الموقع من قبل، وجمع البقايا الأثرية والقطع والكسر الموجودة

على سطح الموقع كالكسر الفخارية والعظمية وتتم دراستها وتحليلها، وقد يقوم بهذه المرحلة أعضاء الفريق كافة الذي يشارك في الحفائر كل في تخصصه الدقيق.

2- إعداد و تحضير موقع التنقيب:

تبدأ على مخططات ذات مقاييس محددة تهدف إلى ربط الموقع بإطاره الجغرافي وبلي ذلك القيام بمسح طبوغرافي للموقع بهدف تحديد خطوط الارتفاع والتسوية والأبعاد اللازمة، هذا إلى جانب نقاط العلام والاسترشاد. وبعد المسح تتم عملية تقسيم الموقع عبر مخطط شبكي Plan grillage ذي محورين يتقاطعان عند منتصف هذا الموقع تقريبا أو عند أهم نقطة فيه، ثم تقسيمه إلى مناطق صغيرة (منطقة المعبد أو منطقة القصر و غيرها)، ثم تقسيم المناطق الصغيرة إلى مربعات Squares يأخذ كل منها رقما عدديا مثل مربع رقم 1 ومربع رقم 2 يتبع تقسيمها المحاور الرئيسية للمخطط الشبكي العام للموقع، ويتم توثيقها بالوصف والصورة والرسم. و يترك بين هذه المربعات من الجهات الأربع فواصل ترابية Baulks لا يتم تنقيبها بغرض تجديد المربعات والحفاظ على القطاع الرأسي في الحفر يوضح الطبقات الرئيسية التي تم الكشف عنها أثناء التنقيب ولسهولة التنقل بين المربعات لإزالة الأتربة بشكل مستمر.

يجري التنقيب عن الآثار وفق أسلوب علمي في التنقيب يهدف إلى تسجيل

التراث الإنساني بكل دقة وأمانة، ويتلخص منهج الحفر في عدم حفر عدة طبقات في

وقت واحد وضرورة متابعة العمل لحظة بلحظة للوقوف على كل تطور أو تغيير يحدث في لون ومخلفات الطبقة.

3- السبر الاختباري:

وهو عملية تنقيب منهجية محددة في مناطق مختارة، يقوم على الحفر العمودي المنظم الذي يختلف مقاييسه حسب طبيعة الموقع المنقب فيه، ويخترق طبقات الموقع الأثري حتى الوصول إلى الأرض البكر وهي الطبقة الخالية من البقايا الأثرية أو الطبقة الصخرية، ويهدف إلى تقديم معلومات حقيقية عن طبيعة البقايا الأثرية الموجودة في الموقع ومعرفة انتمائها الزمني والحضاري. وهنا تبرز أهمية السبر الاختباري في تحديد زمن الطبقة الأثرية والتشكيلات الجيولوجية أو الدراسة الستراتغرافية، وتحديد المناطق المهمة أو الغنية بالبقايا الأثرية في الموقع الأثري حتى يتم البدء بالتنقيب فيها.

تساعد عمليات السبر التي تجري قبل البدء بالتنقيب على اتخاذ قرار حاسم حول تقنية الحفر المستخدمة وحول الاتجاه الذي سيتبع لفتح الموقع، والحصول على معلومات حول العمق الذي تتوضع فيه المخلفات الأثرية وأماكن توضع السويات الخالية والاتجاه العام الذي تتبعه الأبنية المعمارية وكل مرحلة كرونولوجية¹.

¹ - غالان، مارتين رودريغو : مناهج البحث الأثري و مشكلاته، 1997، ص 148.

4- التنقيب الأثري المنهجي:

تهدف عملية التنقيب إلى التوسع في السويات التي اظهر السبر الاختباري أهميتها، ويبدأ التنقيب حسب نظام المربعات التي تختلف أبعادها حسب طبيعة وزمن الموقع الأثري، ففي مواقع عصور ما قبل التاريخ يكون المربع 1 م² أو أقل خاصة في المغاور والملاجئ التي يصل إلى 10 سم²، وفي مواقع الشرق القديم فمساحة 4 م²، أما في مواقع الكلاسيكية والإسلامية يمكن أن تصل إلى 10 م².

تنظيف المواقع من المخلفات الحديثة كافة قبل العمل، ووضع نظام للعمل بحيث يتلاقى الحوادث والأخطاء والعوامل المؤدية إليها كتحديد مسار للعمال داخل وخارج المربع.

تنظيم العمل داخل المربع لضمان دقة العمل والنتائج وإمكانية ومراقبة كل ضربة فأس بالمربع، وتحديد أحد جوانب المربع بـ 1 متر أو أكثر بحسب عرض المربع لبدأ الحفر فيه ثم تكرر العملية حتى يحفر المربع كله في مستوى واحد لكل طبقة. وينظف الجزء المحفور مباشرة للحفاظ على نظافة الموقع مباشرة للحفاظ على نظافة الموقع. يتم الحفر بعمق متساو في حدود عشر أو خمسة عشرة سنتمترًا بشكل منتظم في كل مربع. و يقوم العامل بتفتيت الطبقة العليا ثم يفحص التراب جيدا وينقل مباشرة خارج الموقع عبر الممر الفاصل بين مربعين. وإذا كانت مساحة المربع تسمح بوجود مجموعتين من العمال يجب

أن لا يتعارض عملهما بحيث لا يزدحم الموقع ولا تقع حوادث وحتى يمكن متابعة تطور الحفر بدقة.

يجب متابعة كل تغيير يطرأ على التربة من حيث التكوين واللون والمخلفات والتوقف عند كل تغيير حتى تتم أعمال تسجيل للطبقة. وإذا لوحظ تغيير التربة على عمق أقل مما نحفر يجب تدارك الأمر مباشرة ويقلل العمق بحيث نحافظ على بداية ظهور البقعة الجديدة حتى وإن كانت على عمق خمسة سنتيمترات في أي جزء من المربع مع متابعة العمل بحفر نفس العمق في كل مربع، لأن المحافظة على كل طبقة يضمن عدم اختلاط الطبقات ويحافظ على الترتيب الزمني لها بما يضمن دقة العمل وسلامة النتائج.

تنظف كل طبقة بعد الانتهاء من حفر كل مستوى في كل قسم من أقسام المربع ونقل الردم بمجرد الحفر حتى يمكن الاستمرار في حفر بقية الأقسام. والتحقق دائماً من أن جوانب المربع قائمة الزاوية وقطاع كل جانب واضح ويمكن قراءته بسهولة خاصة إذا لم يكن العمق قد وصل ضعف طول المربع وإذا اضطررنا للتعمق أكثر من ضعف طول المربع يجب أن تميل جوانب المربع نحو الداخل قليلاً حتى لا تتهار.

ولا يمكن تعدي حدود المربع بأي حال من الأحوال لأن ذلك يفسد عملية التسجيل ويخلط اللقى بما يربك تأريخ ونسب تلك اللقى والموقع بالكامل حتى لو كان هناك لقي

أثرية نصفها في المربع ونصفها تحت الممر فالأجدي تركها لحين تصفية الممرات لتسجل في طبقتها ولتقسيم العملية التاريخية.

يجب استخدام الأدوات المناسبة من حيث الشكل والحجم بما يتناسب مع الطبقات وتكوينها وأنواعها فليس هناك داعي لاستخدام الأدوات الثقيلة في التربة غير المتماسكة، بينما يمكن استخدام الفأس في الطبقة المتماسكة لكن مع تزايد احتمالات العثور على لقى أثرية يجب الكف عن استخدامها والاستعاضة عنها بالمسطرين وعند ظهور آثار دقيقة يجب التوقف نهائياً عن استخدام الأدوات الصلبة ويكتفي بالمسطرين والفرشاة.

عند ظهور عناصر معمارية مثل أجزاء من جدار أو كتل حجرية يجب التروي للتأكد إن كانت معلقة ولا تتصل بالمبنى أم أنها تمثل مبنى مستقلاً مع ملاحظة التغير في التربة جيداً وهل تمثل أرضية أم أنها امتداد للبقعة التي يجري العمل فيها.

تتبع التكوينات المعمارية وامتدادها وعدم استخدام أدوات صلبة بالقرب من الجدران لأنه من الممكن أن تكون مغطاة بطبقة الجص وعليها رسومات، مع الحرص الشديد على جمع المخلفات الموجودة كافة ضمن الردم لإمكانية مساهمتها في تفسير المبنى و تأريخه بالشكل الصحيح.

يجب الوصول بالحفر إلى الصخر البكر ويمكن تمييزها بحبيبات الرمل التي تتجمع عند نقطة التقاء الصخر البكر بالطبقة التي تعلوها، وفي حالة ظهور أرضية مغطاة بالحجارة أو الفسيفساء فيجب متابعة الكشف عنها بالكامل ثم نتابع عملية الحفر لتحديد

ما إذا كانت عصور سابقة لها وذلك بالحفر خارج حدود الأرضية ويحسن أيضا الوصول للطبقة البكر. وتجمع جميع المخلفات الأثرية من كل طبقة على حدة خاصة الفخار ثم نوضع بيانات تشمل رقم المربع والطبقة والتاريخ على النموذج المعد سلفا.

5- النشر العلمي:

وهو كتابة التقارير العلمية ونشرها لنتائج التنقيب وتسلم غالبا للسلطات الأثرية المانحة للتصريح ويتم نشرها في المجلات والحواليات الدورية التابعة لهيئة الآثار العامة و لها عدة أشكال:

- التقرير اليومي، بعد الانتهاء من العمل كل يوم.
- التقرير الأسبوعي، بعد الانتهاء من العمل كل أسبوع.
- و التقرير الموسمي، بعد الانتهاء من العمل كل موسم تنقيب.
- التقرير النهائي، بعد الانتهاء من أعمال التنقيب نهائيا في الموقع.

وفيما وراء النشرات عن الحفريات تشكل المجموعات والفهارس والأبحاث والكتب والدراسات الشاملة التي لا غنى عنها في علم الآثار، وهذا العلم كجميع العلوم يسعى ليطحنى مرحلة التحليل ليعرض تحقيقات جزئية تحت أشكال متنوعة¹.

¹ - ضو، جورج: تاريخ علم الآثار، ترجمة بهيج شعبان، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 103.

6- طرق التنقيب الأثري:

تختلف طرق التنقيب الأثري حسب طبيعة المواقع الأثرية وخصوصياتها وتركيبها الجغرافي والغاية من التنقيب الأثري، ويمكن تمييز عدة طرق للتنقيب وهي:

أ- التنقيب الاختباري:

وهو القيام بأسبار اختبارية من خلال فتح مربعات تنقيب في مناطق مختلفة ومختارة بعناية في الموقع الأثري للتعرف على نوعية وزمن المخلفات الأثرية التي يحتويها الموقع وأماكن توزعها والمناطق ذات أهمية كبيرة حيث إن بدء التنقيب يعتمد على نتائج هذه الأسبار. وتستخدم أيضا هذه الطريقة خلال أعمال المسح الأثري للتأكد من وجود وتأريخ البقايا الأثرية في المناطق الجغرافية المختلفة.

ب-التنقيب بطريقة الخنادق:

الهدف من هذه الطريقة سبر الموقع تمهيدا للتنقيب فهي تعطي فكرة عامة عن البقايا الأثرية التي يحتويها الموقع وتوضح تعاقب الطبقات وتسهل العمل وتوفر الوقت للحصول على النتائج المرجوة من التنقيب. ويمكن أن يأخذ الخندق عدة أشكال، كفتح خندقين بشكل متقاطع يشكلان إشارة زائد (+) أو بشكل قائم (L) أو بشكل ملتو (S)، ويمكن أن يكون الخندق على شكل مربعات متتالية أو متصلة، أو يأخذ أي شكل آخر ترى فيه البعثة الطريقة المناسبة والملائمة لطبيعة الموقع الأثري.

ج- التنقيب بطريقة المدرجات:

تهدف هذه الطريقة من التنقيب التغلب على صعوبة الحفر في المناطق المنحدرة أو سفوح التلال الأثرية إذ يكون الانحدار شديدا ويتم التنقيب بشكل طولي من المنسوب الأعلى باتجاه أسفل التل أو المنحدر على شكل مدرجات متتالية لها نفس الأبعاد في الطول والعرض. تساعد هذه الطريقة في التنقيب على الاقتصاد في النفقات وتوفير الوقت والحصول على نتائج كثيرة في منطقة يصعب الحفر فيها وتساعد في ضبط الطبقات ومكان الآثار إلا أنها تتطلب عددا كبيرا من العمال¹

د- التنقيب بطريقة الوحدات أو شبكة المربعات:

تسمى أيضا طريقة مورتيرويلر **Mortimer Wheeler** لأنه أول من استخدمها في حفرياته عام 1930م²، وهي من أسلم طرق التنقيب و أكثرها استخداما ولاسيما في المناطق والسطوح المستوية، يسير العمل فيها بسهولة ودقة عاليتين، يبدأ الحفر من سطح الموقع الأثري وحتى الأرض البكر بشكل متتابع ومتجانس وتتبع للسويات والطبقات الأثرية، ويتم بفتح وحدات متقاربة أو متباعدة تضم منها شبكة من المربعات المنتظمة التي تتراوح أبعادها حسب طبيعة وتاريخ الموقع الأثري المراد الحفر فيه.

ويتم الوصل بين الوحدات أو التوسع بها حسب أهمية المكتشفات الأثرية وانتشار الأبنية المعمارية واتجاهها حتى تصبح في النهاية حفرة واحدة كبيرة تكشف

¹ - الدباغ، تقي، 1983، ص115.

² - رزق، عاصم محمد: 1996، ص138.

عن معالم الموقع الأثري بشكل كامل¹. وتتميز هذه الطريقة بإمكانية تتبع التغيرات في الطبقات الأثرية ومكتشفاتها بكل عناية وسهولة العمل وإدارته خلال التنقيبات.

هـ - التنقيب في المباني و العمائر:

وتتم هذه الطريقة في التنقيب في أماكن تواجد البقايا المعمارية كالمساكن والقصور والمعابد والمساجد والكنائس وغيرها، ويتم الحفر في المكان التي توجد فيه بقايا الآثار المعمارية البارزة أو عند اكتشافها خلال التنقيب حتى الوصول إلى نهايتها ويعد هذا العمق طبقة واحدة تتميز بوجود جدران أو بقايا معبد أو مسكن وتسمى بالجدار الأول أو المعبد الأول أو المسكن الأول بدلا من الطبقة الأولى، وتكتشف نهاية هذه البقايا المعمارية عند الوصول إلى أرضيته، ثم يستمر التنقيب تحته للكشف عن المباني المعمارية الأقدم أي المعبد الثاني أو المسكن الثاني².

وتستمر هذه العملية حتى الوصول إلى الأرض البكر، وهي الطريقة التي تستخدم بشكل كبير في التلال الأثرية المنتشرة بالشرق الأدنى حيث المدن والقرى تتراكم فوق بعضها.

¹ - الدباغ، تقى، 1983، ص117.
² - الدباغ، تقى، 1983، ص115.

و- التنقيب في الأراضي المغمورة بالمياه:

وتحصل هذه التنقيبات في حالة الأراضي الرطبة الواقعة بالقرب من مصدر مائي كالأنهار أو الوديان أو البحيرات أو البحار، حيث من الممكن أن يؤدي التنقيب إلى خروج المياه من أسفل الموقع أو يتم غمر التنقيبات من الأعلى نتيجة الفيضانات أو العواصف أو الأمطار، وفي حالات أخرى يكون تواجد البقايا الأثرية في منطقة مغمورة أو مشبعة بالمياه. والمهم في هذه الحالة من التنقيبات الانتباه إلى وضع خطة لحفظ البقايا الأثرية التي ستكتشف في الموقع بسبب الحالة الفيزيائية والكيميائية الرديئة للبقايا نتيجة تواجدها في بيئة مشبعة بالمياه، ولذلك فإن طريقة التنقيب والكشف وسرعة المعالجة في حفظ ونقل البقايا الأثرية المكتشفة يؤدي إلى نجاح التنقيب الأثري.

الفصل الخامس: ثلاثية التراث الأثري (التوثيق، والحفظ،

والعرض)

أولاً- توثيق و تسجيل الآثار:

تنقسم المكتشفات الأثرية إلى قسمين رئيسيين هما: الآثار الثابتة من مكتشفات معمارية وأبنية غيرها سواء المبنية من الحجر أو الطوب أو اللبن، والآثار المنقولة من مكتشفات اللقى من الفخار والمعادن والزجاج وغيرها من المواد الأخرى. وتتم البقايا الأثرية بعدة مراحل من لحظة الاكتشاف وحتى عرضها في المتاحف أو تخزينها في المخازن وهذا بالنسبة للآثار المنقولة، وأما بالنسبة للمواقع والمباني فمن مرحلة الكشف إلى مرحلة الحفظ المناسبة. يطبق على هذه المراحل سلسلة الأعمال الأثرية Opérateur Chaine وعندها توجد عدة خطوات للتسجيل والتوثيق حسب كل مرحلة تمر بها الآثار المكتشفة، ولكن هناك أربعة أنواع من التسجيل والتوثيق في سورية و هي:

- (1) التسجيل للمواقع والمباني في قائمة التراث الوطني.
- (2) التسجيل على لائحة التراث العالمي.
- (3) التسجيل والتوثيق أثناء أعمال التنقيب والكشف عن الآثار.
- (4) التسجيل والتوثيق في المتاحف والخازن.

ويقوم فريق التنقيب خلال أعمال الحفر بتسجيل سير العمل وكتابة كل ما يجري في الحفريات لحظة بلحظة يذكر فيها كل شيء مهما كان وهذا ما يطلق عليه باليوميات ويقومون بإنشاء ملفات لحظة الوثائق والسجلات والدفاتر واللوائح والصور والنشرات التي توضح سير العمل وتفسير المنقب، ويكون هناك أرشيف كامل لكل شيء.

من ضمن الأعمال التي تتم في سلسلة الأعمال الأثرية من الحفريات إلى التنقيب عملية التسجيل والتوثيق، وهو عمل مهم جدا مثل إظهار القطع الأثرية ويتم بطريقة عملية لمعرفة تحديد هوية القطع خاصة عندما يكون أعدادها كبيرة جدا ويصبح الأساس نفسه علما¹، وليس التوثيق فقط تسجيل المعلومات ولكن أيضا هو أساس المعرفة للقطع الأثرية، ومن وجهة نظر العملية فإن أساسيات التطبيق بهدف تنظيم سلسلة العمليات الأثرية إلى التوثيق والتسجيل قد تم تحديدا بشكل واضح في ما يلي:

- (1) عدم توزيع المجموعات الأثرية بين عدة أماكن ومؤسسات.
- (2) عدم فصل البقايا الأثرية الموثقة في المكان نفسه.
- (3) عدم وضع الآثار المأخوذة من التنقيبات في المخزن والأرشيف والمتحف أو أي مكان آخر بدون المصنفات والعناوين والنصوص وغيرها من التسجيلات التي تسمح باستثماره وحفظه المنطقي.

¹-DELOCHE B ,1989, Muséologica, contradictions et logique du musée, W.m.n.e.s., mâcon, p137.

(4) تأمين أكثر ما يمكن من الأماكن المرسل إليها وثائق متنوعة من

أجل تقدير مجموعة الشروط لحفظ البقايا الأثرية.

(5) دعم التلاؤم المستمر لتسجيل ومعالجة البقايا الأثرية من الحفرية

إلى الخزن النهائي¹.

يتم تسجيل التراث الأثري غير المنقول من مبان ومواقع ومناطق على لائحة التراث الوطني للدولة التي يتوفر فيها معيار أو أكثر من المعايير التي يتم وضعها ضمن قوانين التراث من معايير تاريخية وعلمية وفنية وغيرها. ويتضمن التسجيل إضبارة ورقية أو إلكترونية وفق نماذج متعددة لدى السلطات الأثرية في الدولة وتشمل على المعلومات التالية:

(1) بيان التراث ومالكه ومنطقته العقارية ومناطق الحماية في حال

وجودها.

(2) الوصف التاريخي والمعماري للتراث ووجائبه وملخص عن الدراسات

والمراجع المتوفرة.

(3) معيار التسجيل والقيم التي انطوى عليها بما فيه التراث غير المادي

المرتبط إن وجد.

¹-SOULIER Pm 2001m de la constitution de la documentation archéologique de terrain à sa gestion conservatoire, in le dépôt archéologique : conservation et gestion pour un projet scientifique et culturel, acte des assises nationales de la conservation archéologique, Bituriga, Bourges, p115.

(4) المخططات المساحية والطبوغرافية والمعمارية للتراث ومناطق حمايته.

(5) بيان بالعقود العقارية للأماكن ووجود التراث وحدودها ومناطق حمايتها.

(6) الوثائق الفوتوغرافية والصور الجوية إن توافرت وأية وثائق أخرى ترى الهيئة ضرورتها.

(7) مشروع قرار التسجيل.

أما التسجيل على التراث العالمي التي هي قائمة عالمية للمواقع الأثرية و الطبيعية انبثقت من الاتفاقية العالمية لحماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي عام 1972م والتي أعلنت أن هناك موقعا ذات أهمية استثنائية لتراث الإنسانية في العالم تشكل جزءا من التراث العالمي المشترك، وتعني الأهمية الاستثنائية: الأهمية الثقافية والطبيعية ذات الاستثناء الذي يتجاوز الحدود المحلية ليشكل أهمية مشتركة للأجيال الحالية والمستقبلية للإنسانية جمعاء.

تقوم الاتفاقية على حماية وصيانة التراث العالمي الثقافي والطبيعي خلال تحديد هذه المواقع ذات أولوية والتحضير للدعم بالمساعدات المالية والفنية وذلك يتم تغيير نظرة المجتمع نحو التراث وأسلوب التعامل معه وجعله مصدرا للانتماء ورمزا للهوية الوطنية للأمم.

بشكل عام يشكل التسجيل المواقع على التراث العالمي فائدة كبيرة للبلد الحاوي لها، فمن جهة يتم تأمين التمويل من قبل اليونسكو عبر صندوق التمويل الدولي **WorldHeritageFund**، ومن جهة أخرى يؤمن الدعم التقني والفني من قبل خبراء الإيكومس **ICOMOS**، فضلا عن أن التسجيل له فوائد غير مباشرة مثل الترويج السياحي على المستوى العالمي وجذب عدد كبير من السياح ما يشكل زيادة في الدخل الوطني وتوفير فرص عمل، ويدفع السلطات المحلية إلى الالتزام بتعهداتها في خطة حماية وصيانة المواقع الأثرية وفق المعايير والتوجيهات الدولية للحفاظ والصيانة¹.

يتضمن تسجيل وتوثيق الآثار المنقولة في المتاحف والمخازن إضبارة تسجيل التراث المنقول بتشكيلها الورقي والإلكتروني ما يلي:

- اسم التراث وهوية مالكة ومكان إقامته.
- وصف التراث وملخص عن الدراسات والمراجع المتوفرة.
- معيار التسجيل والقيم التي انطوى عليها.
- الوثائق الفوتوغرافية والصور والرسوم وأية وثائق أخرى ضرورية.
- مشروع قرار تسجيل.

للمزيد من المعلومات أنظر:

¹ - Basic texts of the 1972 World Heritage convention, UNESCO,2005.

يتم حالياً العمل على تطبيق برنامج التوثيق الإلكتروني¹ في المديرية العامة للآثار والمتاحف لتوثيق جميع الآثار الموجودة في المتاحف والمخازن السورية وبناء قاعدة بيانات للتراث الأثري المنقول ويشمل التسجيل وفق هذا البرنامج على المعلومات التالية:

1.المصدر.

2.الشكل الخارجي.

3.المواد وآلية التصنيع.

4.الحالة الأولية.

5.قياسات القطعة.

6.المكان.

7.تاريخ القطعة.

8.الصور.

9.المعارض.

10.التعقب.

11.المراجع.

¹ - للمزيد حول التسجيل و التوثيق الإلكتروني أنظر: شعبان، انيس : استخدام التقنيات الحديثة في أعمال التسجيل و التوثيق ،في استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم، ط1،الشارقة،1998،ص 43.

ثانيا - حفظ و ترميم التراث الأثري:

1. حفظ الآثار:

إن الحفر والتنقيب هو تغيير لمعالم الأرض واستخراج الآثار يعني تعريضها لتأثيرات العوامل الطبيعية، لذلك فإن حفظ الآثار وكل ما يعثر عليه ليس أقل أهمية من اكتشافها، ويقال دائما لا حفظ بشكل جيد إلا ما نقب عنه بشكل جيد¹.

تحمل كلمة الحفظ معنيين: الأول تقليدي فرنسي له معنى إداري حول المسؤولية العامة عن التراث الأثري المعهود إلى إثارة هذا التراث. والمعنى الثاني حديث متأثر بالتقاليد الأنكلوسكسون، وغالبا ما يكون معنا تقنيا مكرسا للعناية بالتراث الثقافي، هذه العناية تشمل الوقاية واستقرار الحالة والعرض وعمل المرممين ذوي الصلاحية الوحيدة في لمس هذا التراث². وللحفظ وجوه مختلفة لها معنى واسع تتمثل بما يلي:

(1) حفظ دمج القطع (تجهيز، سيطرة على البيئة، معالجة الاستقرار

والتقوية والترميم).

(2) حفظ المعطيات التي كرس لها (تقرير التنقيب، الدراسات،

التحليلات، الترميم).

¹ - حسن، علي: الموجز في علم الآثار 1993، ص 57 .

² - BERGEON S, 2001, la conservation-restauration délégué, in le dépôt archéologique :conservation et gestion pour un projet scientifiques et culturel, Acte des assise nationales de la conservation archéologique, Bituriga, bourges, p 127.

(3) العرض و إعادة البناء الميزوغرافي لقطع في إطارها¹.

(4) حفظ المباني والمواقع التاريخية والأثرية (ترميم، صيانة، إعادة بناء،

إعادة تجميع، إعادة تركيب، إعادة تركيب، إعادة توظيف وإحياء).

يمكن القول : إن عملية الحفظ أو الحفاظ conservation مجمل العمليات التطبيقية والبحثية التي يقوم بها المختصون في صيانة الآثار في سبيل المحافظة على الآثار بشتى أنواعها وصيانتها من التلف في الحاضر والمستقبل مستعينين في سبيل تحقيق هذا الهدف ما وفرته لهم علوم الكيمياء والفيزياء والعلوم التجريبية من نتائج عملية ونتائج حديثة يستخدمها المختصون في صيانة الآثار وكذلك في فحص مكونات الآثار المختلفة وتعيين خصائصها الفيزيائية والكيميائية وتحديد خطورة التلف الذي ألم بها ومظاهره المختلفة على أساس علمية واختيار أفضل المواد الكيميائية وأنسب طرق العلاج وصيانة الآثار وحمايتها من التلف حاضرا ومستقبلا.

تتم معالجة المكتشفات الأثرية من لحظة اكتشافها سواء كانت آثارا ثابتة أم منقولة على حد سواء وتتبع كل منها إجراءات مختلفة تتناسب مع كل منها. وإجراءات الحفريات والتنقيب عن الآثار يغير معالم الأرض وتؤدي عملية الكشف وإخراج الآثار إلى تعرضها إلى العوامل الطبيعية ولهذا السبب فإن حفظ هذه الآثار لا يقل أهمية من اكتشافها، فطريقة الكشف والتنقيب تكون الخطوة الأولى في سلسلة عملية حفظ الآثار ولا يحفظ

¹ - MEYER-ROUDET H, 2001, conservation et conservation ou les différences conceptions de la conservation, in dépôt archéologique : conservation et gestion pour un projet scientifiques et culturel, Acte des assise nationales de la conservation archéologique, Bituriges, P195.

بشكل جيد إلا ما نقب عنه بشكل جيد. فالتنقيب عن الآثار لا يقتصر دوره على عملية الكشف عنها وإظهارها وإنما يجب أن تمتد أهدافه ليشمل عملية حفظها وتأمينها لأن مهمة المنقب في هذه الحالة مهمة مزدوجة تتعلق بتنظيم الحفر وإتمام العرض بعد الصيانة والحفظ وهما عمليتان لكل منهما هدفان الأول علمي يكون بعد الدراسة والتحليل في متناول العلماء والباحثين والآخر تربوي يجب أن يصبح مجالاً مفتوحاً للناس يقرؤون من خلاله تاريخهم وحضارتهم¹.

الحفظ ليس مجرد الخزن في قبو الماضي وإنما الاستعمال الحي من أجل الحاضر، ولعل ضعف الوعي التراثي لدى الناس وجهلهم به سبب رئيس من أسباب اندثاره وضياع الكثير من عناصره ولهذا يجب العمل على تعميق الوعي بالتراث ليتم توحيد الرابط بين الإنسان وتراثه ليقوم عن قناعة وإدراك بالحفاظ عليه والدفاع عنه، بالنتيجة فإن وعي الإنسان بحماية التراث لذاته وهويته. ويجب تعميم التشريعات الخاصة بالتراث الأثري وتوزيعها على شتى مرافق المؤسسات الحكومية والشعبية على امتداد الوطن بحيث يعرف المواطن حقوقه وواجباته في هذا الخصوص.

في أغلب الأحيان يتم نقل الآثار والمباني من عصور متأخرة أو هدمها إذا كانت متهدمة ولا يمكن الاحتفاظ بها لأنها تخفي تحتها آثاراً من عصور أكثر قدماً وذات أهمية أكبر وهو ما يحصل في أغلب التلال الأثرية العائدة لمرحلة الشرق القديم. ومن أهم

¹ - ضو، جورج: 1982، ص 84.

الأمثلة على ذلك إزالة برج إسلامي من العصر الأيوبي في قلعة بصرى الشام بهدف الكشف عن المدرج الروماني العائد للقرن الثاني ميلادي، إذ تم في المرحلة الإسلامية تحصين المدرج وجعله قلعة عسكرية وبنى حوله الأبراج وبنى برج على المدرج الروماني إذ اختفى تماما تحته، ولأهمية المدرج الروماني وحالة الحفظ الجيدة التي يمتاز بها والأكمل على مستوى العالم لذلك تم أخذ القرار بإزالة البرج الإسلامي لإظهار المدرج الروماني وذلك في خمسينات القرن الماضي بإدارة عالم الآثار سليمان المقداد من المديرية العامة للآثار والمتاحف وبإشراف منظمة اليونسكو.

على فريق التنقيب أن يكون دائما جاهزا لتدعيم وتقوية الأبنية والعمائر وأماكن التنقيب فضلا عن اللقى الأثرية التي تعاني من تردي حالتها وتفككها وذلك كي لا تفقد الآثار أي ميزة من ميزاتها التي ساعدت الظروف البيئية على حفظها في باطن الأرض على مر العصور.

في بعض الأحيان يكون الحفظ غير فعال أو في أحيان أخرى تكزون التكوينات الرسوبية الرطبة جدا لا تستطيع أن تقاوم العوامل الطبيعية عند اكتشافها، فهي سريعة التأثير ولاسيما إذا كانت رطوبة الأرض قد أثرت عليها خلال العصور القديمة وحتى ساعة اكتشافها مع العلم أن بعضه وصل مرحلة ما إذا رأى النور لحظة اكتشافها تفتت لذلك يجب الأخذ بالحسبان استخدام الوسائل المناسبة لمثل هذه الحالات أثناء التنقيب

والكشف وتوفير المواد والمتخصصين ذوي الخبرة الكافية لحماية البقايا الأثرية من التلف، وبشكل خاص الآثار المصنوعة من المواد العضوية والألوان والكتابات وغيرها.

وبعد الانتهاء من التنقيب في المواقع الأثرية لابد من حفظ المناطق المنقبة بعد كل موسم تنقيب حتى لا تكون عرضة للتلف وتغير معالمها بفعل العوامل الجوية وتأثيرات الحرارة والرطوبة والنباتات والحيوانات وغيرها ولاسيما في مواقع التلال الأثرية، فضلا عن المواقع الأثرية المأهولة بالسكان التي تهددها البشرية بشكل دائم ناهيك عن الأخطار الأخرى.

تقوم المنظمات الدولية بدور مهم في الحفاظ على التراث من خلال تقديم الدعم التقني والفني والمالي لمختلف دول العالم مثل اليونسكو ومنظمة التراث العالمي والايكوموسوالايكوروم(المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية)والايكوم(المجلس الدولي للمتاحف) وغيرها من المنظمات العالمية وسيتم تناول دور كل منها في الفصل اللاحق.

كما يتم التركيز في الوقت الحاضر على إعطاء المجتمع المحلي دورا مهما في الحفاظ على التراث الأثري من خلال التوعية ودمجهم في خطط إدارة التراث والمواقع الأثرية والتنمية السياحية المستدامة.

2. علم الآثار الوقائي:

علم الآثار الوقائي *Archéologie preventive* إجراء استباقي بوقاية التراث الأثري من أخطار توسع المشاريع التنموية المستقبلية على حسابه¹. وبذلك ليس بتخصص علمي جديد من فروع علم الآثار المتعددة كما يمكن أن يفهم من صياغة المصطلح علم الآثار الوقائي، ولا بمنهج علمي مستحدث في الدراسات الأثرية، مثل ما هو الحال عليه مع علم الآثار المقارن *archéologie comparative* أو التقييس الأثري *archéométrie*، على سبيل الذكر لا التخصيص والحصص، وليس بمؤسسة قائمة بذاتها تختص بحماية التراث الأثري على الصعيد الدولي أو المحلي وإنما مبدأ نظري عام تستند إليه استراتيجيات الدول والأمم القائمة، المستقبلية في حماية ثروات تراثها الثري الخاص. أو بعبارة أوضح، توجه فكري جديد في مجال حماية التراث الأثري وتثمينه، يعقب مرحلة الإنقاذ التي تجاوزها الزمن بفعل متغيراته الراهنة إذا كان الأثري والهيئات المشرفة على الآثار وقتها تتدخل بعد حدوث الكارثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ساعة شق الطرقات السريعة ومد الجسور وغيرها من المشاريع التنموية المعاصرة على حساب الآثار العريقة، مفاده لزوم تدخل الأطراف المذكورة أعلاه وقيامها بما يجب القيام به قبل انطلاقة المشروع التنموي في حد ذاته.

¹ - European preventive Archeology papers of EPAC meeting, vilnius 2004, national office of cultural Heritage/ council of europe, 2007, p12.

تتمثل غاية علم الآثار الوقائي في إيجاد حل توافقي للمفارقة القائمة بين التراث الأثري بعده موردا طبيعيا محدودا غير متجدد وما يشكله من قلق متزايد نتيجة لما يتعرض له من أخطار وكوارث يعد الإنسان المتسبب الأول فيها واحتياجات التنمية الإقليمية والاقتصادية التي لا تخدم المصلحة الخاصة فقط وإنما المجتمع بأكمله من جهة أخرى.

بات علم الآثار الوقائي من التوجهات الحديثة في استراتيجيات الحفظ على التراث الأثري وأمر ضروري بالنظر إلى الظروف المصاحبة لنشأته، إذ يعد في هذا الصدد نتيجة حتمية رضتها تطورات العصر وعاد بذلك يمثل مرحلة ما بعد الإنقاذ التي ازدهرت بين خمسينيات وثمانينات القرن العشرين، إذ كان القائمون على التراث الأثري ينتظرون وقوع كارثة للتدخل بغرض إنقاذ ما يمكن إنقاذه على خلاف علم الآثار الوقائي الذي يمنع وقوع الكارثة و هنا مكمنا أهمية علم الآثار الوقائي في مجال حماية التراث الأثري وصيانته¹.

ازداد وعي المجتمع الدولي بأهمية التراث الأثري في تخليد الإنسان على هذا الكون والحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية للمجتمعات الإنسانية لاسيما بعدما شهدته العالم من دمار رهيب في غضون الحربين العالميتين الأولى والثانية وما نجم عنهما من

¹ - أنظر: نادية، بلقندوز: اثر علم الآثار الوقائي الفرنسي في جاب دول المغرب العربي، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011، ص 15.
عليان، جمال : الحفاظ على التراث الثقافي، نحو مرسوم عربية للحفاظ على التراث الثقافي و إدارته، سلسلة عالم المعرفة، عدد 322، الكويت/ 2005.

تدمير واندثار العديد من المواقع الأثرية المهمة. إذ لم تعد عملية الحفاظ على التراث تقتصر على الدولة التي توجد فيها المعالم الأثرية والحضارية وإنما مهمة المجتمع الدولي ككل، مثل ما حدث مع منظمة اليونسكو في حملتها العالمية لحماية معبد أبي سنبل الذي كان مهدداً بالغرق ساعة إنشاء العالي في أسوان بمصر إذ كان من الممكن أن يتسبب هذا السد في إغراق العديد من المعالم الأثرية المهمة المشيدة على ضفتي نهر النيل، فلولا إسهام المجتمع الدولي في تمويل أعمال إنقاذ ونقله إلى مكان آخر أكثر أماناً لفقد إلى الأبد¹.

تطور التنظيمية التشريعية والتنظيمية للتراث الأثري على الصعيدين الوطني والدولي، فمن جهة أصدرت وتصدره الدول على المستوى المحلي والإقليمي قوانين جديدة في سبيل حماية التراث الأثري، ومن جهة أخرى صدرت معاهدات ومواثيق دولية في هذا المجال، فضلاً عن ظهور العديد من المنظمات الدولية المختصة بحماية التراث الأثري والحفاظ عليه مثل منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة UNESCO، والمركز الدولي بدراسة وحفظ وترميم الممتلكات الثقافية ICCROM، و المجلس الدولي للمعالم التاريخية و المواقع الأثرية ICOMOS، التي تقوم على وضع المناهج و الدراسات والبرامج التي تعمل على تنظيم وتطوير الممارسات العلمية والعملية للتراث الأثري².

¹ - اليونسكو و الايكروم، تعريف الشباب بحماية و إدارة مواقع التراث، طباعة مكتب اليونسكو، عمان، ط1، 2003، ص 16.

² - جمال عليان، 2005، 169.

3. ترميم الآثار:

إن الكشف عن البقايا الأثرية يجب أن يتم بشكل جيد ومن ثم تخزينها أيضا بحيث يمكن الوصول إليها بسهولة ويتم دراستها من قبل العلماء والباحثين، وفي الوقت نفسه تكون في متناول الجميع من مجتمع محلي أو زوار أجنب عن طريق عرضها في المتاحف أو المعارض، وكل هذه الإجراءات تطلب ضرورة ترميم البقايا الأثرية المنقولة وإعادة تأهيل الموقع والمباني الأثرية.

تتنوع طبيعة البقايا الأثرية والمواد المستعملة فيها لذلك تتطلب عملية صيانتها وترميمها تحتاج إلى الخبرة الكبيرة والدراية الواسعة بها وبالبيئة والظروف التي تعيش فيها والوظيفة التي كانت تشغلها وستشغلها فيما بعد. وبسبب غياب الخبرة لدى العاملين في ترميم التراث الأثري حصلت أخطاء متفاوتة في ترميم العديد من البقايا الأثرية من أبنية وقطع أثرية، وصلت لدرجة أن بعض المباني الأثرية المرممة أصبحت لا تختلف عن المباني المنشئة حديثا، ولم يع بإمكان الشخص الذي لا يعرف تاريخ هذه المباني أن يميز بين المباني الأثرية والتاريخية والمباني الحديثة.

تتمثل عملية الترميم في التدخل لترميم الأضرار التي أصابت التراث الأثري مع مرور الزمن أو وقعت نتيجة حادث ما أو إهمال، وتجري عملية ترميم الآثار سواء الثابتة أو المنقولة حسب الدراسات والتحليلات العلمية والتاريخية المسبقة في المخابر أو الورش المتخصصة حسب طبيعة ومادة البقايا الأثرية. وتشمل عملية الترميم كل التدخلات

المنتظمة الترميمية المتتالية على الأضرار التي تحدث مع الوقت، والحوادث، والإهمال أو التهاون الذي يحدث نتيجة التركيز على عرض القيمة التاريخية والوظيفية والجمالية للتراث الثقافي¹.

يتم تعريف المباني حسب ميثاق البندقية عام 1964م بأنه طريقة عملية عالية التخصص، هدفها الحفاظ على القيم الشكلية والفنية في المعلم وإظهارها، ويعتمد على احترام المادة القديمة وعلى الوثائق الأصلية. ويجب أن يتوقف الترميم حينما تبدأ الافتراضات، ففي عملية إعادة البناء فإن أية أعمال تكميلية يجب أن تعرف من حيث الشكل والتقنية، ويجب تمييزها من حيث التصميم المعماري، ويجب إظهار علامة الحاضر. ويجب أن يسبق الترميم دائما ويتابع بدراسة أثرية وتاريخية².

أما المدرسة الأمريكية فتعرف الترميم الفعل أو الطريقة لضبط الوصف الشكلي على هيئة الخصائص التاريخية لإنشاء والمناظر الطبيعية والمواد، كما ظهرت في مدة معينة من التاريخ بالاعتماد على إزالة صفات من أزمنة تاريخية أخرى من تاريخ مبنى وإعادة بناء المظاهر المفقودة من الزمن التاريخي المراد إجراء الترميم عليها³.

الترميم مجمل العمليات التطبيقية التي يقوم بها المرممون من أجل حماية المبنى الأثري من الانهيار أو التلف فضلا عن إصلاح ما تلف من المقتنيات الفنية المختلفة⁴.

¹-Gob a, et Drouguet N, 2006, P155.

²- la charte de venise, 1965, charte internationale sur la conservation et la restauration des monuments et des sites.

³- محمد، عبد الهادي محمد: دراسات علمية في ترميم وصيانة الآثار غير العضوية، 1997، ص20.

⁴ http://www.cr.np.gov/history/online_books/nps_28/2/contents.htm.national park system

هو عملية دقيقة ذات وسائل وطرق وأدوات متعارف عليها عالميا، فضلا عن المختصين الذين يعملون حسب نوع المواد الأثرية، وهو في الوقت نفسه عملية فنية وجمالية تحتاج إلى حس عال ومهارة جيدة، كما أن عملية تجميل وإعادة البقايا الأثرية إلى شكل أقرب إلى حالتها الأصلية من دون إضافة جديدة أو تزوير، وهي أيضا عملية علاج للآثار التي مضت عليها آلاف السنين كالتصدعات والتشققات والانهيارات التي أصابت المباني الأثرية.

وتكون عملية العلاج والترميم على ضوء دراسة حالة الآثار وماهية المشكلات التي يعانيتها، إذ يتم العلاج المناسب من قبل المرمم بعد الدراسة والتشخيص، وإجراء الترميم يشكل الإجراء النهائي بعد عملية المعالجات الكيميائية وتنظيف وتقوية الآثار التي تحتاج إلى ترميم.

اليوم أصبحت تستعين مجالات ترميم وصيانة الآثار من تطورات الاكتشافات الحديثة التي توصل إليها العلماء في شتى المجالات من علوم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا وأجهزة الحواسيب والإلكترونيات وغيرها من العلوم التي تخدم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عمليات ترميم الآثار وصيانتها.

أ. ترميم المباني الأثرية:

إن ترميم المباني الأثرية يختلف بحسب طبيعة البناء وطريقة بنائه وتتفق مع مواد البناء سواء أكانت حرية أم طينية ونوعية الملاط المستخدم فيها والزخارف والرسوم الموجودة على جدرانها. وأعمال الترميم للمباني المعمارية تستوجب توفر الظروف الكاملة التي تتلاءم مع حالتها والمواد المستخدمة في بنائها من حيث درجات الحرارة والرطوبة والإضاءة والتهوية وعوامل التلف البيولوجية كما يستوجب الوقوف على الخواص الكيميائية والطبيعية لمختلف المواد البنائية الداخلة في هذه الأبنية وعلى الكيفية التي تتفاعل بها هذه المواد المستخدمة في عمليات الترميم مع الأجواء المحيطة بها ومدى تأثير الرطوبة والضوء والأملاح و تذبذب المياه الجوفية عليها¹.

تتمثل عوامل تلف المباني الأثرية في العوامل التالية:

- العوامل البشرية وتتمثل في عمليات التعدي والتغيير والتحوير والتخريب والتشويه والتهديم.
- العوامل الطبيعية وتتمثل بالزلازل والبراكين، الأمطار والسيول، الرياح والعواصف، الانهيارات الأرضية.
- العوامل الفيزيوكيميائية وتتمثل بالحرارة، الرطوبة النسبية والمياه الجوفية.

¹ - شاهين، عبد المعز: طرق صيانة و ترميم الآثار و المقتنيات الفنية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ص 11.

➤ العوامل البيولوجية وتتمثل بالنبات والحيوانات والحشرات المختلفة

والمتنوعة.

لذلك فإن أي ترميم للأبنية الأثرية يجب أن يتم في ضوء عدة عوامل مهمة: منها ضرورة تحديد المواد القديمة الداخلة في تركيب المبنى، والوقوف على عوامل التلف الكامنة لمعرفة تأثيرها وتلافي أخطارها، و حصر أنواع هذا التلف ودراسة الظروف التي أدت إليه، واستخدام الأساليب الترميمية الصحيحة التي لا تضر البناء بأية صورة من الصور، واستخدام مواد أكثر مقاومة لعوامل التلف التي أدت إلى احتياج المبنى إلى ترميم، وتحديد مواصفات هذه المواد بشكل جيد حتى تكون النتائج المترتبة على استخدامها جيدة أيضا¹.

توجد قواعد أساسية تحكم عمليات الترميم المعماري في الوقت الحالي إذ تقوم على الدراسة الشاملة للمباني الأثرية ورفعها معماريا وهندسيا، ودراسة خواص وتأثير المواد الداخلة بالترميم على المواد الأصلية الداخلة بالبناء، وعدم القيام بأية أعمال من شأنها تغيير أو محو أو طمس أي جزء من أجزاء المبنى الأثري، وعدم استخدام أي مواد ممكن أن تؤدي إلى إضعاف مواد البناء الأصلية واقتصار التدخل بالترميم على الأماكن الضرورية التي تحتاج لذلك والعمل على التفريق بين القديم والحديث، واستخدام مواد في الترميم يسهل إزالتها بالمستقبل في حال أريد تغيير طريقة ومواد الترميم، وبشكل عام

¹- رزق، عاصم محمد: 1996، ص 183.

ينقسم ترميم المباني الأثرية إلى ثلاثة أقسام : الترميم المعماري، والترميم الهندسي والترميم الدقيق.

ب. ترميم اللقى الأثرية:

تشمل معالجة البقايا الأثرية ثلاث عمليات متتالية، العملية الأولى التنظيف إذ يتم إزالة الأوساخ والعوالق من المواد الأثرية، العملية الثانية الصيانة أي تقوية المواد الأثرية وتقليل احتمالية تلفها أو إصابتها بأضرار، والعملية الأخيرة الترميم أي إعادة تركيب أجزاء المنفصلة أو المكسورة من المواد الأثرية المتفتتة أو متشققة وجمع جميع الأجزاء مع بعضها البعض حتى تتماسك¹.

تختلف طرق المعالجة حسب المادة المصنوعة منها القطع الأثرية وطبيعتها وتبدأ معالجة بعض القطع في الموقع الأثري بعد الكشف عنها قبل نقلها إلى المستودعات أو المتاحف والبعض الآخر يتم معالجته في المخابر المتخصصة.

يسمح الترميم بوقف تطور التدهور وتصليح التلف الضار بالقطع الأثرية بشكل مؤقت، وينجز أعمال إعادة البناء والترميم الأثري للقطع بهدف تحسين حالتها ومنظرها من أجل حفظها بشكل جيد وتقديمها إلى كل من الباحثين والجمهور. والتقييم الحديث لترميم القطع الأثرية المادية أي هيئة القطعة الأثرية يتطلب تأثرا قويا على تقييمها

¹ - الدباغ، تقي: 1983، ص 234.

بخلافه مهما كان تقييم الترتيب التاريخي والفني أو قدم القطعة الأثرية، ويحاول هذا العمل بهدف توضيح التأثيرات لتنوع اللون والشكل على وظيفة القطعة المادية الأثرية¹.

تصنف القطع الأثرية بشكل عام حسب المادة التي تتكون منها وتقسّم إلى مجموعتين رئيسيتين، تتألف المجموعة الأولى من المواد الغير عضوية وهي القطع المشكلة في جوهرها من مواد جامدة مثل الحجارة والمعدن والزجاج والفخار، وتتألف المجموعة الثانية من القطع الأثرية التي تتشكل من المواد العضوية مثل الخشب والعاج والنسيج والورق والألوان والعظم والجلد وغيرها.

القطع الأثرية في المجموعة الثانية هي حساسة جدا لتغير المناخ أو درجة الحرارة، عندما تصبح التغيرات في المظهر جلية هذا يعني أن سير التلف قد بدأ مسبقا، عمليات التلف الضارة تنتج من أسباب مختلفة: الرطوبة الكثيرة أو القليلة، الإنارة، البرد الشديد أو الحرارة المرتفعة، تلوث المناخ، الحشرات الضارة، نقص الصيانة العامة أو غير الملائمة للمواد المتنوعة وغيرها. وقد أدى التطور في ميدان الكيمياء خلال القرن الماضي إلى ظهور مواد كيميائية جديدة ساعدت على تقديم عمليات ترميم وصيانة الآثار، وأخذت هذه المواد الكيميائية الصناعية تحل مكان المحاليل العضوية في ترميم الآثار بمختلف أنواعها². كما ظهرت على مستوى العالم مخابر أكثر تخصصا بترميم التراث الأثري

¹-conservation-restauration des biens culturels, n°2, 1995, p31.

² - محمد، عبد الهادي محمد: دراسات علمية في ترميم و صيانة الآثار غير العضوية، 1997، ص 51.

حسب المادة التي يتكون منها، كما ظهرت بالتوازي تخصصات علمية في مجال دراسة ترميم البقايا الأثرية والتاريخية.

ثالثاً - المتاحف وطرق عرض التراث الأثري:

من يقول حفر وتنقيب يقول متاحف، إذ أن معظم المكتشفات الأثرية التي يعثر عليها خلال التنقيبات يجب أن يكون مكانها الطبيعي قاعات العرض في المتاحف وليس وضعها في المخازن لتعاني من الحرارة والرطوبة والعفونة التي تدمرها مع مرور الزمن، والأفضل أن تترك الآثار في باطن الأرض إذا لم يعد الإعداد الكافي لعرضها والحفاظ عليها قبل الكشف عنها¹.

لا يكفي اكتشاف الوثائق أو تأمين حفظها كيفما اتفق بل يجب أيضاً تسهيل الوصول إليها للعلماء والجمهور ومن هنا تنشأ مهمة مزدوجة: تنظيم حقول الحفريات، والعرض في المتاحف². ويمكن تعريف المتحف بأنه معهد دائم، من دون هدف ربحي، في خدمة المجتمع وتطوره، مفتوحة أمام الجمهور، وتجري فيه الأبحاث المكرسة للشواهد المادية للإنسان وبيئته، يجمعها ويحفظها ويقدمها للجمهور بهدف الدراسة والتعليم والترفيه³.

¹ - حسن، علي: الموجز في علم الآثار، 1993، ص 63.

² - ضو، جورج: 1982، ص 87.

³ - الإيكوم 2001.

أما متحف الآثار فهو مكان مفتوح أمام الجمهور لعرض وشرح موقع أو عدة مواقع أثرية وكل ما يتعلق بها من المكتشفات المادية ونتائج الأبحاث والدراسات، ويقوم بإبرازها وتقديمها بعدة أشكال كعروض دائمة ومؤقتة مزودة بلوحات تعريفية ووسائل لحفظ الأوابد والبقايا الأثرية ومجموعة من التنظيمات والاعدادات الأخرى التي تسهم في إغناء وتطور وسائل العرض والحفظ، وتتركز نواته الأساسية على وجود صلات العروض الدائمة وتأهيل الأوابد والمواقع الأثرية¹.

ويعد متحف الموقع الأثري أو عدة مواقع أثرية من جميع المراحل الزمنية ومن كل الأنماط، ويشمل أيضا الآثار الصناعية **Archéologie Industrielle**، و يحتوي على تراث محفوظ ومعروض على الجمهور ويحتوي أيضا متحفا يعرض المجموعات الأصلية القادمة من الموقع الأثري وإعادة الترميم والبناء المنجزة حسب الدراسات والبحوث العلمية² تتوزع المتاحف حول ثلاثة محاور أساسية هي: الفن والتاريخ والعلوم، وتتوزع طرق عرض التراث الأثري من عروض دائمة في المتاحف وعروض مؤقتة متنقلة خارجية في دول العالم المختلفة، ويوجد عدة أنواع من المتاحف في الجزائر يغلب عليها متاحف الآثار وتصنف كما يلي³:

¹ - الحجى، سعيد، ص 102.

² - MOREL-DELEDALLE Myriame, 2003, musées de sites et de reconstitution, in vestiges archéologiques en milieu extrême, institut national du patrimoine édition du patrimoine, paris, p 208.

³ - الحجى، سعيد: متاحف الآثار في سورية، متحف موقع البصرى أنموذجا، مجلة جامعة دمشق للآداب، مجلد 30، العدد 1+2، دمشق، 2014، ص 616.

1. المتاحف الوطنية:

- المتحف الوطني للآثار.
- المتحف الوطني باردو الجزائر.
- المتحف الوطني للجيش الجزائر
- المتحف الوطني للفنون الجميلة الجزائر
- المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الجزائر
- المتحف الوطني أحمد زبانة وهران
- المتحف الوطني سيرتا قسنطينة
- المتحف الوطني بسطيف
- المتحف الوطني نصر الدين دينيه بالمسيلة

2. المتاحف الإقليمية:

- متحف تيبازة
- متحف هيونة عنابة.
- متحف إفري بجاية.
- متحف تيمقاد باتنة
- متحف تلمسان
- متحف بني عباس الساورة بشار.

يحتل التراث الثقافي - ويشكل التراث الأثري في عصرنا الحاضر - مكانة مهمة جدا وقيمة عالية، وتتمحور حوله معظم الفعاليات والنشاطات الثقافية والسياحية في جميع أنحاء العالم، لذلك كان محور الاهتمام من حيث الحفاظ عليه وصيانته وعرضه على الجمهور، وتم استخدام التقنيات الحديثة للاتصال والمعلومات لتحقيق ذلك وتحقيق متطلبات المجتمع المعاصر¹. وكان نتيجة لذلك إنشاء الحدائق الأثرية **Parcsarchéologiques** التي ترتبط بموقع أو عدة مواقع أو منطقة محددة تسمح بربك المواقع الأثرية مع تاريخها في إطارها الجغرافي وبيئتها الطبيعية. مثل حدائق عصور ما قبل التاريخ وحدائق إعادة البناء لبعض مجتمعات الحضارات القديمة وحدائق العصور الوسطى. وتتنوع الحدائق الأثرية حسب طبيعة المواقع الأثرية وبقاياها حسب الأسس والقواعد المتبعة لإنشاء الحدائق الأثرية المتبعة لإنشاء الحدائق الأثرية في كل منطقة أو في كل بلد².

سمح استخدام التقنيات الحديثة للتقديم والعرض والشرح في تطور الحدائق الأثرية وإعادة بنائها بطرق وأساليب جديدة، فالتقنيات التجريبية تساعد على فهم التراث الأثري

¹CACHIN Françoise, 2000, L'archéologie dans les musées : gestion courante ou singulière ? in musées et collections publiques de France, n°227-2, ed. A.G.C.C.P.F. , paris, p7.

²-Roy J B., 2000, qu'est -ce qu'un musée archéologique ? in musées et collections publiques de France, n°227-2, ed. A.G.C.C.P.F. , paris, p47.

(علم الآثار التجريبي ¹ L'archéologie expérimentale) التي تشكل مقارنة علمية

خاضعة لعدة قواعد رئيسية².

استخدم في عرض التراث الأثري تقنيات إعادة البناء للبقايا الأثرية التي تم عملها حسب الدراسات العلمية مثل إعادة بناء أجزاء من المباني أو القطع الأثرية، وتشكيل مجسمات لأبنية معمارية أو قطع أثرية أو حيوان أو إنسان، وأجزاء من مربعات التنقيب الأثري في الموقع، ونماذج من أدوات بناء الموقع والمواد المستخدمة فيه³. إن إنشاء عرض أو متحف من أجل إظهار التراث الأثري عملية طويلة تتطلب سلسلة من الأعمال المختلفة والمتخصصة من لحظة الاكتشاف للبقايا الأثرية حتى العرض والاتصال مع الجمهور، بالنتيجة هذه العملية لا تتوقف في نهاية أعمال العرض أو تأهيل الموقع وفتحها أمام الزوار ولكن تستمر إلى ما لانهاية فيما يتعلق بحفظها وعرضها على الأجيال المتعاقبة. كما أن وجود متحف عام أو متحف أثري بشكل خاص أصبح ضرورة من أجل التطور في كل المجتمعات، ويقوم المتحف بدور هام جدا على مستويات عدة وطنية وثقافية وتعليمية وتربوية واقتصادية ولهذا السبب قام الكثير من دول العالم مثل سورية

¹- Nivrat A., 2004, de la fouille au musée, les musées et préhistoire/ nouveaux lieux nouvelles fonctions, thèse de doctorat pour l'obtention du titre docteur, sous la dir de Jacques MAIGRET, muséum national d'histoire naturelle, département des galeries, P268.

².-PERLES Catherine, 1998, archéologie expérimentale, in dictionnaire de la préhistoire, leoir-Gourhan André, sous la dir, PUF, paris, p59.

³-الحجي، سعيد، متاحف الآثار هويتها وتطوراتها وواقعها المعاصر، مجلة جامعة دمشق للأدب، مجلد30، العدد 4+3، دمشق، 2014، ص569.

بإعطاء المتاحف الإمكانيات والوسائل العلمية والمادية لإيجاد مكانها في طريق التطور الوطني والثقافي للشعوب¹.

رابعاً - إدارة مواقع التراث الأثري:

جاء مفهوم إدارة المواقع الأثرية من مجموعة مبادئ أساسية التي انطلقت في العالم لحماية التراث الثقافي وإدارته عبر الاتفاقيات والمواثيق والبيانات الدولية وخصوصاً بعد إنشاء منظمة اليونسكو عام 1954 وانبثاق مؤسسات ومراكز دولية تابعة لها أو تعمل معها تقوم مهمتها على هذا الأساس، ومن أهم هذه الاتفاقيات والمواثيق²:

- وثيقة أثينا عام 1931.
 - ميثاق البندقية عام 1964.
 - اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي و الطبيعي 1972.
 - ميثاق فيرون عام 1997.
 - اتفاقية فلورنس للحدائق التاريخية، الإكومويس 1981.
 - ميثاق فلورنسا هام 1982.
 - ميثاق واشنطن للحفاظ على المدن و المناطق التاريخية
- .1987

¹الحجي ، سعيد: متاحف التراث الأثري أهميتها و دورها في المجتمعات المعاصرة، مجلة جامعة دمشق للآداب قيد النشر.
²-DEMAS Martha, 2003, the GCI project Bibliographies, conservation and management of archeological sites, The Getty conservation Institute, Los Angles, California.

- توصيات نيودلهي و الميثاق الدولي لإدارة التراث الثقافي عام 1990.
- الاتفاقية الأوروبية لحماية التراث الأثري عام 1992.
- ميثاق حفظ قيمة الأماكن التراثية الثقافية، الإيكوموس عام 1992
- بيان الإيكوموس في نارا عام 1994.
- اتفاقية UNIDROIT برعاية اليونسكو والمجلس الدولي للمتاحف عام 1995.
- ميثاق بورا عام 1999.

الفصل السادس: التراث الثقافي والمنظمات الدولية

المنظمات الدولية المعنية بالتراث الثقافي و الأثري:

توجد عدة منظمات وجمعيات ومشاريع وطنية وعالمية أنشأت لتطوير طرق وأساليب حفظ وعرض التراث الأثري مثل:

1. منظمة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة UNISCO:

تأسست اليونسكو عام 1945 و تعمل على إيجاد الشروط الملائمة لإطلاق حوار بين الحضارات والثقافات والشعوب على أساس احترام القيم المشتركة. فمن خلال هذا الحوار، يمكن للعالم أن يتوصل إلى وضع رؤى شاملة للتنمية المستدامة، تضمن التقييد لحقوق الإنسان، والاحترام المتبادل، والتخفيف من حدة الفقر، وكلها قضايا تقع في صميم رسالة اليونسكو وأنشطتها.

إن الأهداف الشاملة والغايات الملموسة للمجتمع الدولي كما وردت في الأهداف الإنمائية المتفق عليها دولياً، بما فيها الأهداف الإنمائية للألفية تشكل منطقات إستراتيجيات اليونسكو وأنشطتها. ومن ثم فإن كفاءات اليونسكو الفريدة في مجالات اختصاصها، هي التربية، والعلوم، والثقافة، والاتصال والمعلومات تساهم في بلوغ هذه

الأهداف. وتتمثل رسالة اليونسكو في الإسهام في بناء السلام والقضاء على الفقر والإسهام في التنمية المستدامة وإقامة الحوار بين الثقافات من خلال التربية والعلوم والثقافة والاتصال والمعلومات. كما أنها تعمل على تحقيق عدد من الأهداف الشاملة هي:

- (1) تأمين التعليم الجيد للجميع والتعلم مدى الحياة.
- (2) تسخير المعارف والسياسات العلمية لأغراض التنمية المستدامة.
- (3) مواجهة التحديات الاجتماعية والأخلاقية المستجدة.
- (4) تعزيز التنوع الثقافي والحوار بين الثقافات وثقافة السلام.
- (5) بناء مجتمعات معرفة استيعابية من خلال المعلومات والاتصال.

تقوم اليونسكو على صعيد حفظ التراث العالمي بما يلي:

- تقدم المعلومات التي تشمل التراث المعماري ووسائل صيانتها.
- مساعدة الدول الفقيرة بحماية آثارها.
- تقديم المساعدات المالية والعينية الخاصة بحماية المقتنيات الأثرية

العالمية.

توصيات و معايير اليونسكو:

شجعت منظمة اليونسكو مختلف الاتفاقيات والصكوك للحفاظ على التراث الثقافي

والطبيعي و منها:

توصيات تتعلق بالمسابقات الدولية في العمارة وتخطيط المدن عام 1956:

توجيهات لوضع برنامج للمسابقات الدولية ومصالح كل المنظمين والمنافسين.

التوصيات الدولية بشأن المبادئ التي تنطبق على الحفريات الأثرية 1956: وتتناول

المبادئ العامة واللوائح التي تنظم عمليات التنقيب وتجارة الآثار.

توصيات فيما يتعلق بالحفاظ على طابع الجمال والمناظر الطبيعية والمواقع الأثرية

1962: تعد التدابير الوقائية لحماية الطبيعة والمناطق الريفية والحضرية مناظر الطبيعية

والمواقع سواء كانت طبيعة أم من صنع الإنسان ولها فائدة ثقافية أو جمالية.

التوصيات المتعلقة بالحفاظ على الممتلكات الثقافية المعرضة للخطر من قبل

القطاع العام أو الخاص 1968: تعد التدابير الوقائية والتصحيحية التي تهدف إلى حماية

أو إنقاذ الممتلكات الثقافية من التدمير أو الضرر مثل التوسع العمراني ومشاريع التجديد

والإصلاح و التعديلات، مثل أعمال فتح طريق سريع وعمليات الزراعية أو أعمال بناء

البنية التحتية والتنمية الصناعية.

توصيات بشأن حماية التراث الثقافي والطبيعي على المستوى الوطني 1972:
تعرف مصطلحات التراث الثقافي والطبيعي، وتوفر المبادئ العامة على مدى طويل عن
تنظيم الخدمات والتدابير الوقائية في إطار البنود المالية والإدارية والعلمية التقنية.
اتفاقية لحماية التراث الثقافي والطبيعي العالمي 1972: أدخلت مفهوم مواقع التراث
العالمي.

التوصيات المتعلقة بالحماية وبالذور المعاصر للمناطق التاريخية 1976: وثيقة
أخرى مطولة ومفصلة توفر مجموعة شاملة من المعايير والمبادئ من أجل الحفاظ على
البيئة التاريخية.

المواثيق والمعايير ينبغي أن توفر مبادئ توجيهية لتحديد الرد المناسب بشأن
قضايا الحفاظ، وليس كوصفات طبية فورية وشاملة لجميع الحالات. العوامل التالية تشكل
أساسا لمعظم الوثائق: تحليل شامل للمكان، الحد الأدنى من التدخل في النسيج التاريخي،
والتوثيق الدقيق، واحترام مساهمات كل المراحل التاريخية، والحفاظ على الأصالة، ونظرة
شمولية للبيئة التاريخية¹.

¹ - للمزيد ممن المعلومات أنظر: اليونسكو، المنظمة العالمية للتربية و الثقافة و العلوم، 2009:
www.unesco.org/strategic-planning.

- المواقع الأثرية التاريخية الجزائرية المصنفة في اليونسكو :

في عام 1980، صنّفت "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة" (يونسكو) "قلعة بني حمّاد" في ولاية المسيلة الجزائرية، والتي تأسست في القرن الحادي عشر للميلاد، ضمن "قائمة التراث العالمي للإنسانية". وبعدها بسنتين، ضمّت إلى القائمة ذاتها المدن الرومانية في كلٍّ من سطيف (كويكول) وباتنة (تيمقاد) وتيبازة (تيازة الموريتانية)، وموقع "طاسيلي ناجر" في ولاية إيزي، و"وادي مزاب" في ولاية غرداية. وفي العام 1992، التحقت "قصة الجزائر" في الجزائر العاصمة بالقائمة ليُصبح عددُ المعالم والمواقع التاريخية الجزائرية فيها سبعةً.

ومنذ إدراجها في القائمة، تُشرف على هذه المواقع مؤسساتٌ رسميةٌ تابعة لوزارة الثقافة؛ حيثُ باتت تخضعُ لعمليات حفظٍ وصيانة واستخدام سياحي من خلال "الديوان الوطني لتسيير واستغلال الممتلكات الثقافية"، وهو هيئةٌ تتبع الوزارة نفسها.

ويقول الأكاديمي والخبير في التراث الثقافي، توفيق حموم، ، إنّ الجزائر سجّلت عام 2002 ستة ملفات ضمن "القائمة الإرشادية المؤقتة" لمنظمة "اليونسكو"، لتصنيف مواقع ومعالم تاريخية أُخرى ضمن "قائمة التراث العالمي للإنسانية"، وهو ما يعني - وفقه - التزام الدولة بإعداد ملفات ترشيح هذه الملفات لتصنيفها ضمن قائمة "التراث الإنساني العالمي"؛ من خلال تحديد "القيم الاستثنائية العالمية" لهذه الممتلكات الثقافية من جهة،

و"تطبيق الإجراءات التصحيحية التي أوصت بها لجنة التراث العالمي بعد تقييم حالة الممتلكات" من جهة أخرى.

وتتعلق هذه الملفات بكلّ من حظيرة الأوراس، والواحات ذات الفقارة وقصور العرق الغربي الكبير، ومواقع وأماكن ومسارات القديس أوغسطينوس في بلاد المغرب الأوسط، وندرومة وترارة، وواد سوف، والأضرحة الملكية النوميديّة والموريتانية والمعالم الجنائزية التي تعود لما قبل الإسلام.

ويؤكد حمّوم إلى أنّ هذه المعالم شهدت "تدهوراً متسارعاً خلال القرن الحالي لأسباب طبيعية وبشرية"، داعياً إلى إجراء تحديثات لمحتوياتها على ضوء الاكتشافات والدراسات الحديثة، معتبراً ذلك أمراً ضرورياً لدعم ملفات الترشيح، لكنّه نبّه إلى غياب متابعة سريعة لهذه الملفات.

ويُنصح إدراج المواقع والعالم الأثرية ضمن قائمة "اليونسكو" للتراث الإنساني العالمي ميزاتٍ؛ مثل التعريف بها وطنياً ودولياً، وتوفير تمويل مادّي لعمليات حفظها وترميمها، إضافةً إلى توفير آليات لحفظها وتسييرها وحمايتها. لكنّ الإدراج ضمن هذه القائمة ليس كافياً لوحده، ولعلّ " القصبّة" مثالٌ واضح على ذلك؛ إذ لا تزال هذه المدينة التاريخية غارقةً في الفوضى والإهمال بعد ثلاثين سنةً من تصنيفها، رغم مشاريع الترميم التي لم تتوقف طيلة تلك الفترة.

2. المجلس الدولي للآثار و المواقع ICOMOS :

الإيكوموس International Council of Monuments and Sites يهدف إلى حفظ عرض التراث والمواقع الأثرية والتاريخية¹، وهو منظمة دولية غير حكومية يقع مقرها في باريس بفرنسا وأنشئ في عام 1965 ويتمثل دوره في تعزيز تطبيق نظرية صون التراث المعماري والأثري ومنهجيته وتقنياته العلمية، يقوم نشاطه على مبادئ الميثاق الدولي بصون المواقع والآثار وترميمها لعام 1964 (اتفاقية البندقية). ويشكل ميدانا عالميا للمختصين بحفظ التراث الثقافي. وتعد اتفاقية التراث العالمي الإيكوموس لجنة استشارية للمجلس الدولي للتراث العالمي في اليونسكو، يقوم بتقييم الممتلكات الثقافية المدرجة في التراث العالمي ودراسة طلبات المساعدة الدولية التي تقدمها الدول الأطراف وتقديم المساهمة والدعم في مجال أنشطة بناء القدرات².

وحتى عام 2011 يضم الإيكوموس حوالي 11088 عضو من الأفراد، 95 لجنة وطنية، 37 لجنة علمية عالمية.

يهدف الإيكوموس إلى حفظ وحماية مباني ومجموعات ومواقع التراث الثقافي، وهو المنظمة الوحيدة غير الحكومية من هذا النوع الذي يشع على نشر النظريات والطرق والوسائل والتقنيات المطبقة على حفظ وحماية وتأهيل المباني والمواقع. وتتركز أعماله

¹ -ICOMOS (Conseil International des Monuments et des Sites), 1996, Chartes internationales sur la conservation et la restauration, UNESCO, paris.

² - Basic texts of the 1972 world heritage convention, UNESCO World heritage centre, published in 2005, paris , p42.

على القواعد الأساسية المسجلة في اتفاقية الدولية لعام 1964 حول حفظ وترميم المباني والمواقع والتي تسمى اتفاقية البندقية.

يشكل شبكة من الخبراء ويستفيد من تبادل الخبرات المختلفة لأعضائه الذين يضمون بينهم المعماريين والتاريخيين والآثاريين والجغرافيين والأنتوغرافيين والمهندسين والمختصين بتاريخ الفنون وتنظيم المدن. يقوم أعضاء الإيكوموس بالإسهام في صيانة التراث وتطوير تقنيات الترميم وإعداد الضوابط من أجل جميع أنواع التراث الثقافي الثابت من مبان ومدن تاريخية وحدائق تاريخية ومشاهد ثقافية ومواقع أثرية¹.

3. المجلس الدولي للمتاحف ICOM:

The International Council of Museums الإيكوم هو منظمة دولية للمتاحف والعاملين في المتاحف، وتلتزم حفظ وتأمين الاستمرارية والاتصال مع التراث الثقافي والطبيعي العالمي، الحاضر والمستقبلي، الملموس وغير الملموس.

أنشئ المجلس الدولي للمتاحف عام 1946 ومقره في باريس فرنسا، وهو منظمة غير حكومية تقيم علاقات رسمية مع **UNESCO** اليونسكو وله مركز استشاري لدى المجلس الاقتصادي و الاجتماعي للأمم المتحدة.

¹ - لمزيد من المعلومات أنظر: الإيكوموس، المجلس الدولي للآثار و المواقع، 2015. <http://www.icomos.org>

يبلغ عدد أعضاء المجلس الدولي للمتاحف 28000 عضواً يتوزعون على 146 دولة تشارك في أنشطة المنظمة على الصعيد الوطني والإقليمي والدولي مثل حلقات العمل ومنشورات والتدريب وبرامج التوأمة وتعزيزها من خلال اليوم العالمي للمتاحف الواقع في 18 أيار من كل سنة، كما أن الاحتفال عالمياً بمناسبة اليوم العالمي للمتاحف يهدف إلى تعزيز العلاقة بين المتاحف والمجتمع لكون المتحف في العلم الحديث لم يعد فقط مجرد بيت لحفظ الكنوز التاريخية والتراثية والثقافية، بل أصبح مركزاً عالمياً مهماً يسهم في نشر وإبراز المعرفة والعلوم والتعريف بالتراث الإنساني في جميع المجالات. وقد تم تخصيص شعار لكل احتفالية باليوم العالمي للمتاحف. وأكد المجلس الدولي للمتاحف أن ضمن العناصر الأساسية للتوافق الاجتماعي الحوار والتسامح والتعايش والتنمية المعتمدة على التعددية والتنافس والإبداع¹.

نشاطات المجلس الدولي للمتاحف تأتي استجابة للتحديات والاحتياجات المهنية للمتحف التي تركز على الموضوعات التالية:

- التعاون والتبادل المهني.
- نشر المعرفة ورفع مستوى الوعي العام للمتاحف.
- تدريب الموظفين.
- تطوير المعايير المهنية.

¹ICOM ? Musées de sites archéologiques, Rapport préparé par Conseil International des Musées, UNESCO, paris.

➤ وضع وتعزيز أخلاقيات المهنة.

➤ الحفاظ على التراث ومكافحة الاتجار الغير مشروع بالمتلكات

الثقافية¹

4. المركز الدولي لدراسة صون المتلكات الثقافية وترميمها ICCROM:

International Centre For the Study of the Preservation and

Restauraton of Cultural Property الإيكروم منظمة دولية حكومية يقع مقرها في

روما إيطاليا، أنشأتها اليونسكو عام 1956 وتتمثل مهامها النظامية في القيام ببرامج في

مجال البحوث والتوثيق والمساعدة التقنية والتدريب وتوعية الجمهور بهدف تعزيز صون

التراث الثقافي المنقول وغير المنقول.

تهدف إلى حفظ التراث الثقافي، أعضاءه من الدول المستقلة التي أعلنت انتسابها

إلى المنظمة، مقره في مدينة روما بإيطاليا، وكانت قد أنشأت من أجل خدمة المجتمعات

الدولية المقدمة من قبل الدول الأعضاء التي تجاوز عددها الحالي 133.

يتعلق الأمر بالمعهد الوحيد من النوع الذي يستفيد من توكيل على المستوى العالمي

بهدف ترقية حفظ التراث الثقافي المنقول وغير المنقول معا وبمختلف أشكاله. ويسعى

الإيكروم إلى تحسين وتطوير نوعية شروط وتطبيقات الحفظ والترميم، وزيادة وعي الناس

بأهمية حماية التراث الثقافي.

¹ALHADJ Said ? 2008, p25.

يساهم في حفظ التراث الثقافي في العالم اليوم ومن أجل المستقبل من خلال خمسة

مجالات أساسية من النشاط وهي:

➤ التدريب: حيث يسهم الإيكروم في الإعداد للحفاظ وتطوير أدوات

جديدة ومواد تعليمية وتنظيم نشاطات للتعليم المهني في العالم كله، ومنذ عام

1966 شهدت دورات الإيكروم مشاركة أكثر من 4000 من الأشخاص المهنيين.

➤ المعلومات: يمتلك الإيكروم واحدة من أكثر المكتبات المتخصصة

بالحفظ في العالم بأكثر من 79000 كتاباً ومنشورات متخصصة تشمل 40 لغة

عالمية، ويقدم معلومات حول الفعاليات العالمية في مجال حفظ وترميم التراث

الثقافي.

➤ البحث: ينظم الإيكروم وينسق اجتماعات حول مفهوم ومعايير

وطرق وتقنيات ومنهجية الحفظ والترميم المشتركة والمعروفة على مستوى العالم ،

ويشكل مخبر الإيكروم مصدر معلومات ومرجع للخبراء في مجال الحفظ.

➤ التعاون: جميع نشاطات الإيكروم يشارك فيها الشركاء العلميين

والمهنيين ويأخذ التعاون شكل المجلس التقني من زيارة التعاون والتعليم

والمعلومات.

➤ الوعي: يوزع الإيكروم مواد ترويجية وينظم ورش عمل وغيرها من

النشاطات المكرس إلى زيادة وعي الناس والوصول إلى حلول في مواد الحفظ.

بما أن الإيكروم منظمة استشارية لحفظ التراث العالمي فهو يهيئ الفرصة الوحيدة لجذب قسم من المعارف والخبرات المكتسبة ضمن نظام التراث العالمي من أجل مساعدة الدول الأعضاء وتحسين تطبيقات حفظ وإدارة ثروات العالمي وغيرها من المواقع الأخرى. ويتمثل الإيكروم في الحفظ، و يقوم بفهم أفضل لاحتياجات الحفظ على أوسع مستوى وهو ما يفيد بالمجمل عمله في حفظ التراث الثقافي غير منقول، ومن أبرز مهامه:

- (1) جمع ودراسة ونشر المعلومات المتعلقة بالأسئلة العلمية والتقنية والأخلاقية الخاصة بحفظ وترميم الممتلكات الثقافية.
- (2) تنظيم وتنشيط وتشجيع البحث في هذا المجال عن طريق البعثات والخبراء، واللقاءات العالمية، والمنشورات، وتبادل المتخصصين.
- (3) إعطاء الاستشارات والنصائح والتوصيات حول موضوع عام أو محور خاص تتعلق بحفظ وترميم الممتلكات الثقافية.
- (4) فهم وإدراك ورفع قيمة التدريب في مجال حفظ وترميم الممتلكات الثقافية والارتقاء بمعايير وتطبيقات العمل في الحفظ والترميم.
- (5) تشجيع المبادرات الهادفة إلى خلق فهم أفضل لحفظ وترميم الممتلكات الثقافية¹.

¹-ICCOROM, la XXVIII assemblée générale le 29 novembre 2013, article 1 but et fonctions.

وللايكروم دور فعال في اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي لعام 1972 ويعد الشريك الأول في أنشطة التدريب في مجال التراث الثقافي وبضطلع بمراقبة حالة صون الممتلكات الثقافية المدرجة في التراث العالمي ودراسة طلبات المساعدة والدعم في مجال أنشطة بناء القدرات¹.

يتبع له برنامج آثار للحفاظ على التراث الثقافي في المنطقة العربية، بهدف تطوير قدرات المؤسسات الرسمية المعنية بالتراث في الوطن العربي و تطوير طرق حماية وإدارة المصادر التراثية وفق أسس مستدامة، تأسس مركز الآثار عام 2012 ومقره إمارة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة².

5. منظمة المدن التراثية العالمية OWHC:

Organization of World Culture Cities هي إحدى المنظمات المهمة بالمدن التراثية العالمية، هي عبارة عن منظمة غير حكومية غير ربحية، أنشئت لمساعدة المدن الأعضاء على التكيف وتحسين طرق إدارتها فيما يتعلق بالمتطلبات المحددة لملكية موقع مدرج في قائمة التراث العالمي لليونسكو، إذ ينص النظام الداخلي لمنظمة مدن التراث العالمي على التزامها بتطبيق اتفاقية عام 1972، بالرغم من أن منظمة مدن التراث العالمي لا تتدرج إلى جانب المركز الدولي لدراسة صون الممتلكات الثقافية وترميمها،

¹-Basic texts of the 1972 world heritage convention, UNESCO world heritage centre, published in 2005, paris, p41.

²- للمزيد من المعلومات أنظر: النشرة الأولى لمركز آثار لحفظ التراث الثقافي في الوطن العربي، الشارقة، 2013.

والمجلس الدولي للآثار والمواقع، والاتحاد العالمي للمحافظة على الطبيعة بكونها منظمات شريكة لليونسكو في اتفاقية التراث العالمي¹.

6. الصندوق العالمي للمعالم التراثية و الحضارية WMF:

يقع الصندوق العالمي للمعالم **World Monuments Fund** غير الربحي في نيويورك ويهتم بما يأتي:

➤ حفظ وحماية الأعمال ذات الفن التاريخي والعمارة المعرضة للخطر

حول العالم.

➤ يصدر سنويا تقريرا يبين المعالم الأثرية والتراثية الأكثر تعرضا

للخطر في العالم².

7. منظمة الإتحاد الأوروبي لحماية التراث EUROPA:

تعد هذه المنظمة أحد المنظمات المنبثقة عن المفوضية الأوروبية المشتركة التي تعني بالحفاظ على التراث الأوروبي والعالمي. و كذلك أنشئ مشروع **APPEAR** عام 2005 تحت إدارة الإتحاد الأوروبي لتأهيل وعرض المواقع الأثرية وقام بنشر دليل عالمي

¹-<http://www.ovpm.org/>

²-<http://www.wmf.org/>

يساعد على إدارة وتأهيل وحفظ مواقع التراث الأثري بالاستناد إلى أسس وقواعد ومنهجية علمية صحيحة¹.

8. المنظمة الأوروبية لحماية الإرث الحضاري EURO CARE:

هي منظمة تهتم بالتراث الأوروبي والعالمي وتسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف تتمثل في حفظ وترميم التراث المعنوي غير الملموس، وترميم وحفظ التراث المادي والبيئي والبيئات المشيدة، وتطوير مواد وتقنيات وبنى تحتية ومعايير جديدة من أجل حفظ المباني التاريخية واستدامتها²

¹APPEAR, 2005 mise en valeur des sites archéologiques en milieu de urbain, guide pratique , rapport de recherche n°30/3, commission européenne : direction générale de la recherche, Belgique.

²-www.europa.eu.int

قائمة المراجع المعتمدة:

أ- باللغة العربية:

- 1- أبو بكر فاتن، نظم الإدارة المفتوحة في مجال علم الآثار، القاهرة، 2001.
- 2- الباز فاروق، علم الآثار في عصر الفضاء، مجلة العلوم، المجلد 14، العدد3، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1998.
- 3- بريدكو ماري، مقدمة للحفظ الأثري، عن كتاب الحفظ الأثري علم الآثار، ترجمة محمد أحمد الشاعر، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية لاقاهلة، 2002.
- 4- بلقندوز نادية، أثر علم الآثار الوقائي الفرنسي في تجارب دول المغرب العربي، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2011.
- 5- البنا السيد محمود، المدن التاريخية تخطيطها وترميمها وصيانتها، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002.
- 6- جباوي علي، علم الإنسانة الأنثروبولوجيا، جامعة دمشق، 1997.
- 7- الحجي سعيد، متاحف الآثار هويتها وتطورها وواقعها المعاصر، مجلة جامعة دمشق للآداب، مجلد 30، العدد 3+4، دمشق 2013.
- 8- الحجي سعيد، متاحف التراث الأثري أهميتها ودورها في المجتمعات المعاصرة، مجلة جلمعة دمشق للآداب، اليمن، 2003.
- 9- الحداد عبد الله عبد السلام، مقدمة في الآثار الإسلامية، ط1، دار الشوكاني للطباعة والنشر، صنعاء، اليمن 2003.

- 10- حسن ابراهيم عبد القادر، وسائل وأساليب ترميم وصيانة الآثار ومقتنيات المتاحف الفنية، مطبوعة جامعة الرياض، الرياض، 1979.
- 11- حسن علي، الموجز في علم الآثار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997.
- 12- حيدر كامل، منهج البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1990.
- 13- سلهب زياد، كيوان خالد، مناهج وتقنيات البحث الأثري، جامعة حلب، حلب، 2012
- 14- شعبا، أنيس، استخدام التقنيات الحديثة في أعمال التسجيل والتوثيق، في استخدام التقنيات الحديثة في علم الآثار المنظمة العربية والثقافية والعلوم، ط1، الشارقة، 1998.
- 15- صالح عبد العزيز، الرحلات والكشوف الأثرية للعصر الحديث في شبه الجزيرة العربية، ط1، الكويت، 1981.
- 16- كفاي زيدان، المدخل إلى علم الآثار، ط1، دار حمادة للطباعة والنشر، أريد، الأردن، 2005.

ب - باللغة الأجنبية:

Alhaji Said, 2008, les méthodes d'expositions des collections -1

archéologique romaines au musée, nature et mise en scène. Etudes comparative entre les musées en France et les musées en Syrie. Thèse de doctorat en muséologie, Université de Bourgogne, France.

Barbet Alix, 1988, Le musée le site archéologique : contribution au -2

débat, les nouvelles de l'archéologie, n 32, Paris.

Bogacki Myron, 2009, Kite Aerial Photography, available at : -3

<http://ptolemais.pl/index.php/en-En/fotografia-latawcow>.